امتداد العرب في صدر الإسلام

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

امتداد العرب في صدر الإسلام

الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

امتداد العرب في صدر الاسلام

(١) العرب في شبه الجزيرة العربية

لم تكن في شبه جزيرة العرب عند ظهور الاسلام دولة واحدة تجمعها وتنظم امورها العامة ، فكان السائد فيها هو النظام القبلي الذي يجمع افرادا مرتبطين برابطة الدم ، وهي رابطة بيولوجية غير قابلة للتوسع او التقلص .

وكان في شبه جزيرة العرب عدد من المدن تقيم في كل منها عدة قبائل أو عشائر ، غير أن معظم هذه المدن كانت تفتقد سلطة مركزية قوية تعمل على صهر الجماعات القبلية أو العشائر التي تسكنها .

وكانت في شبه جزيرة العرب أيضاً عدة أمارات ، مثل آل الجلندى في عمان ، وهوذة بن علي الحنفي في وادي اليمامة ، وعدد من الأذواء الذين يسيطر كل منهم على منطقة يتوقف حجمها أو مدى سلطانه عليها على شخصيته وما تحت تصرفه من قوة أساسها قبيلته ومن ينظم إليه ، ولم يكن بعد زوال إمارتي المناذرة والغساسنة من هذه الامارات من له قوة واسعة ، وكان كل منهم منشغلا بمشاكله الخاصة ومصالحه الآنية دون أن تكون له أفكار عقائدية تجمع اتباعه وتطبعهم بطابع سياسي أو فكري موحّد أو مميّز .

وعند ظهور الاسلام كانت في الجزيرة روابط عامة تربط العرب كافة أبرزها اللغة العربية الفصحى التي كان يُنظم فيها الشعر والتي نزل فيها القرآن الكريم ، وهي لغة كانت عامة ومقدّرة ، بدليل أن القرآن الكريم أكد في ست آيات أنه نزل بها ، فكان غير ذي عوج ، وهو مبين ، وقد عملت عدة عوامل على نشر وتثبيت هذه اللغة العامة الفصحى.

ولا ريب في أن اللغة العامة تعبّر عن أصول عرقية عامة ، فمن المعلوم أن شبه جزيرة العرب لم تكن مركز جذب ، وأحوالها الداخلية لا تشجع الهجرة إليها ، وقد بقيت الجزيرة مستقلة ولم تخضع لأي من الدول الكبيرة التي سيطرت على عدد من أقاليم الشرق الأوسط ، وأن العناصر الأجنبية التي دخلتها واستقرت فيها ، كالعبيد والتجار ورجال الأعمال ، كان عدد أفرادها قليلاً ، ودورهم أضعف من أن يؤثر في النقاء العام للدم العربي ، وهذا ما تظهره اللغة ، فقد اقتبس العرب وخاصة في مناطق الأطراف التي اتصلت بالأعاجم عدداً من المفردات الأعجمية ، ولكن هذه المفردات قليلة نسبياً ، ولم تبدل لغة العرب المقيمين في المناطق التي عاش فيها هؤلاء الأجانب.

إن الروابط العامة التي تجمع سكان الجزيرة ، وهي اللغة الفصحى المشتركة والدم النقي نسبياً ، رغم عمق جذورها ، لم تكن لها فاعلية ايجابية عميقة في الحياة العامة ، وخاصة في الحياة السياسية ، ولذلك ظلت الجزيرة مفككة سياسياً ، وكانت كل كتلة ، سواء كانت قبيلة أو مدينة أو إمارة أو دولة ، تنظر إلى مصالحها المحلية المحدودة ، فتكون هذه المصالح الرابطة الأساسية للمواطنين فيها ، ولذلك ظلت الروابط ذات الفاعلية السياسية محدودة في نطاقها وفي العناصر القائمة عليها . ومما زاد في تغلغل هذه المشاعر المحدودة أن أهل جزيرة العرب لم يتعرضوا لخطر عام قد يدفعهم للتكتل ، فان الدول الأجنبية التي احتكت بهم ، قصرت نشاطها على محاولة فرض سلطة محدودة وفي مناطق ضيّقة نسبياً ، ولم يحاول أي منها أن يكوّن خطراً عاماً على كل الجزيرة ؛ غير أن السيطرة القوية الطويلة التي فرضتها الدول المجاورة على أطراف الجزيرة حصرت عرب الجزيرة في داخل جزيرتهم وأدت الى اقتصارهم على

الإكتفاء الذاتي في حياتهم ، رغم ما في هذا من عبء على حياتهم المادية في بلادهم التي لم تكن غنية في إنتاجها .

فبالرغم من وجود العناصر التي تقوم عليها القومية ، وهي الاشتراك في اللغة والاصول العرقية والمصالح المشتركة ، إلا أن هذه العناصر لم تقم بدور إيجابي في توحيد أهل الجزيرة وفي جعلهم يشعرون بالرابطة القومية العامة ، فظلوا مقتصرين على روابطهم المحلية القبلية ، وظلت العصبية القبلية هي القوة الرئيسة الفاعلة في المجتمع .

وقد أكدت الدعوة الاسلامية وخاصة في العهد الملكي على الوحدانية وفكرة البعث وما يتصل بهما من فهم جديد للخالق وللتنظيم الكوني ، وللعلاقة بين الانسان والخالق ، وأكد الاسلام على أهمية السلوك والمسؤولية الفردية في المجتمع [1] ولم يقتصر على جماعة معينة أو على أمة بذاتها ، بل كان دعوة للعالمين كافة ، فدعوته عالمية ، وهدفه إنشاء مجتمع عالمي ، فمثُله عقائدية أخلاقية ، وأساليبه فكرية ، ونطاقه عالمي .

إن الدعوة الاسلامية كانت قائمة في أساسها على العقائد والأفكار ، وفي نطاقها وغايتها عالمية ، إلا ان معتنقيها من البشر ، والوسط الذي ستنتشر فيه إجتماعي ، وضمان نجاحها يتطلب إختيار أكثر الأوساط ملاءمة لتحقيق نجاحها . والواقع إن الإسلام لم يقف من الروابط القبلية أو القومية الموقف المعادي الذي وقفه من الشرك وما يتصل به ، فان نظرة الاسلام العالمية لم تحجب حقيقة أن الدولة التي يسودها الافراد والمؤمنين به كونوا عبر مختلف عصور التاريخ وفي مختلف الأماكن علاقات منوعة ومتعددة وخاصة في الميادين الإجتماعية والإقتصادية .

وفي القرآن الكريم إشارات واضحة الى الأوساط المحدودة التي أمر الله تعالى الرسول أن ينشر الدعوة الاسلامية بينها في المراحل الاولى ، فقد قال تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » « لتنذر أم القرى وما حولها » « وإنه لذكر لك ولقومك » . والواقع إن كل

(١) تم بحث المبادئ الأساسية للاسلام والآيات التي وردت فيها في كتابي « محاضرات في تاريخ العرب» الجزء الأول .

المسلمين الأولين من العرب ، وأغلبهم كانوا من الشخصيات المحترمة في عشائرها المكيـــة المتعددة .

أكدت الدعوة الاسلامية في العهد المكي على العقائد والأفكار ، إلا ان مقاومة المشركين تعبر عن رد فعل اجتماعي أكثر مما هو عقائدي ، ويتضح من الآيات القرآنية أن الواقفين بوجـــه الدعوة الإسلامية في مكة ، لم يكونوا من رجال الدين ، حيث إن القرآن الكريم لم يشر الى وجود « رجال دين» في مكة وانما ذكر ان الذين قاوموا الدعوة الاسلامية هم الكبراء والسادة الذين كانوا رأس المقاومة ومستقطبيها ، تدفعهم الى ذلك مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية ونفوذهم السياسي (٢) . .

لم ترد في القرآن الكريم كلمة « أسرة » ولا كلمة « عائلة » ولكن ورد فعل «تعولوا» (النساء ٣) ، كما وردت كلمة « عائل » بمعنى قليل المال « ووجدك عائلاً فأغنى» .

ووردت كلمة العشيرة في ثلاث آيات قرآنية « قل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم» «التوبة ٢٤» ، « ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او إخوانهم أو عشيرتهم ، « المجادلة ٢٢ » « وأنذر عشيرتك الأقربين» (الشعراء ١٤» ووردت كلمة « قبائل » بصفة الجمع في آية واحدة (الحجرات ١٣) ، ووردت كلمة « قبيل » في آيتين (الاسراء ٢ ، الاعراف ٢٧) وصفاً لجماعة الملائكة .

إن الكلمة ذات مدلول التكتل الإجتماعي التي كثر ورودها في القرآن الكريم هي كلمة « قوم » حيث ذكرت في ٣٨٣ آية وكلها بمعنى جماعة اجتماعية تشد أفرادها روابط معينة تميزهم عن غيرهم ، وهي تعبر عن روح التكتل الجماعي ، ولكن القرآن الكريم لم يذكر ما يمكن معرفة حدودها وامتدادها ، ولكنها على أي حال لا يمكن اعتبارها مرادفة للقومية المعاصرة ، لان المشركين من قريش قوم متميزون ، وبعض الجماعات التي لها مع الرسول ميثاق هم أيضاً قوم متميزون .

(٢) انظر كتابي « محاضرات في تاريخ العرب » ١/٣٥٠ فما بعد .

إن أمر الله تعالى الرسول أن ينذر عشيرته الأقربين إنما هو أمر مرحلي في بداية الدعوة غرضه الإفادة من الأثر القوي للرابطة العشائرية في جلب الناس الى الاسلام ؛ والدليل على أنه مرحلي هو أن القرآن الكريم أمر بعد ذلك بنشر الدعوة في أم القرى وما حولها حتى في هذه المراحل الاولى من الدعوة الإسلامية .

لقد ذكرت المصادر أسماء العشرة الأولى من السابقين الى الإسلام ، كما حددت تاريخ إسلام بعضهم ، غير أنه من المؤكد أن ثمار الدعوة الاسلامية في مكة تجلت في المهاجرين ، وهم غالبية من أسلم ، ونقول غالبية وليس كل من أسلم ، ففي القرآن إشارات إلى عدد من المسلمين الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالهجرة ، غير اننا لا نعلم عددهم وعشائرهم بالضبط .

ويتبين من قائمة السابقين الى الاسلام ، وقائمة المهاجرين : —

١— أن غالبيتهم المطلقة من أحرار قريش وليسوا من منبوذيها أوحلفائها أو عبيدها .

٢— أنهم من عشائر متعددة ، وفيهم كثير من بني أمية وأقلهم من بني عبدالمطلب .

٣— أنهم كانوا متمسكين بالاسلام عقائدياً وليس بسبب المصالح الشخصية المادية .

٤— أنهم جميعاً من المقيمين في مكة ، اذ توقف الرسول عن محاولة بث الدعوة خارجها بعدأن لم يلق الإستجابة في الفترة القصيرة التي حاول فيها نشر الدعوة خارج مكة .

وكانت في المدينة عندما هاجر اليها الرسول جماعتان متمايزتان ، هما اليهود والعرب فأما اليهود فقد ذكرهم القرآن الكريم بدينهم « هود » (٣) هادوا (١٠) ، يهود (٩) وأكثر ما ذكرهم باسم بني اسرائيل (٤٣) وهو تعبير يسمهم بالقبلية اكثر مما يسمهم بالقومية ، والكلام عنهم يتناول عقائدهم أو تاريخهم المشترك ، والغالب أنه يقصد ببني اسرائيل القوم الذين عاشوا في الأزمنة القديمة وليس في زمن الرسول .

أما العرب فقد سمّاهم « الأنصار » (٣) وهو تعبير سياسي ديني اسلامي ، وسماهم أيضاً « أهل يثرب » وكلا التعبيرين لا يتصل بالقومية أو الثقافة .

قضى الرسول (ص) طيلة السنوات العشر الأخيرة من حياته في المدينة، ولم يخرج منها الا فترات قصيرة محدودة قاد خلال كل منها حملات لم تستغرق وقتاً طويلاً، وصرف جهده في توضيح معالم الدين الاسلامي وتثبيته في النفوس، وفي التنظيم السياسي والاجتماعي للمجتمع الاسلامي الذي كان يضم عشائر مختلفة. وقد اتضحت في هذه الفترة عالمية الدعوة وعمومية مُثُلها الإنسانية، وانضم إليها عدد من غير العرب، غير أن عدد هؤلاء المنضمين من غير العرب قليل جداً، وهم أفراد ليسوا من ذوي المكانة العالية في المجتمع، وأشهرهم ثلاثة هم سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، وكلهم ممن أصابه الرق قبل إسلامه، لذا بقي تعامله بالدرجة الأولى مع العرب، سواء في داخل المدينة، أو في خارجها عندما بدأ التوسع.

وكان كثير من سكان الحجاز بدواً متشبعين بالروح البدوية وتقاليدها التي كثير منها لا ينسجم مع المثل الروحية والأخلاقية الاسلامية، كما أن أرتباطهم بالدولة غير وثيق، فقد وقف بعضهم موقفاً معادياً من الدولة الجديدة، وشن بعضهم غارات عليها واعتدى على أملاك المسلمين ومواشيهم، واتخذ بعضهم مواقف قلقة غير مستقرة من دولة الاسلام، فكانوا ينضمون إلى المشركين مرة، والى المسلمين مرة أخرى، كالذي فعله عيينة بن حصن الفزاري؛ ومن حيث العموم لم تكن لاستجابتهم نفس قوة استجابة أهل المدن، وكان لوقوع ديارهم بعيدة عن مقام الرسول أثر في بطء تشبعهم بروح الإسلام ومُثُله.

وقد أطلق القرآن الكريم تعبير الأعراب على هؤلاء البدو، وذكرهم في عشر آيات كلها تعيب عقائدهم الضحلة وسلوكهم السياسي القلق « قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » (الحجرات ١٤) « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » (التوبة ٩٧) «ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة » (التوبة ١٠) « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا» (الفتح ١) «قل للمخلفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولى بأس شديد »

«وجاء المعذرون من الأعراب» (التوبة ٩٠) وانظر أيضاً التوبة ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، الأحزاب ٢٠) .

غير أن الانتقاد الموجه الى الموقف العقائدي السياسي القلق للبدو ليس معناه أن الرسول اعتبرهم أعداء ألداء للمسلمين ، كمشركي قريش ، ولذلك قصر موقفه على توجيه غزوات متفرقة غير ثابتة أو عنيفة ضدهم ، واكتفى منهم بإظهارهم الموقف السلمي المؤيد ، أو على الأقل غير المعارض ، فلم يجبرهم على الهجرة إلى المدينة ، ولم يفترض أن يتشبعوا بين عشية وضحاها بروح الاسلام ، وهذا واضح من مدلول الآية القرآنية « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » وقد أدى إسلام هؤلاء الأعراب وبقاؤهم في ديارهم إلى توسع دولة الإسلام لتشمل ديارهم أيضاً ، وبذلك كوّن الأعراب قسماً كبيراً من مواطني الدولة الجديدة ، وساهموا في الاعمال الحربية الكبيرة التي قام بها الرسول (ص) .

وكلمة «الاعراب» المذكورة هي تعبير حضاري سياسي ، والمقصود بها الجماعة الذين يسكنون البادية وتجرى حياتهم على نمط حياة أهل البادية ، وهم مرتبطون سياسياً بدولة الاسلام ولكن سكناهم خارج المدينة ؛ وعدم تشبعهم بروح الاسلام ، ومبادئهم جعلهم يختلفون عن إخوانهم من نفس عشائرهم الذين أسلموا وهاجروا الى المدينة واستوطنوها ، فالأعراب لا يتميزون بلغة أو لهجة خاصة أو بأصول من العرق والدم والوراثة ، بل بأسلوب الحياة والموقف السياسي الذي كثيراً ما يظهر مبايناً لما في مركز الدولة وقلبها من أوضاع ونظم . والأعراب رغم اشتراكهم في عدد من الخصائص العامة ، إلا انهم لم يكّونوا كتلة متماسكة متميزة ، بل ظلوا قبائل وعشائر متفرقة في مواطنها ومواقفها إلا ما فرضه عليهم الإسلام من الارتباط به عقائدياً وسياسياً .

إن تحرك الرسول (ص) لزيارة مكة والذي انتهى بصلح الحديبية ، كان أوسع تجمع لنشاط يجري خارج المدينة ، وقد ذكر ابن اسحق فيه أن الرسول(ص) « إستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه . فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج

رسول الله (ص)بمن معه من المهاجرين والانصار ومن معه من العرب[٣] .

ذكر ابن اسحق في هذا النص المهاجرين والأنصار ، والأعراب أهل البوادي والعرب ، ويظهر من الشطر الأول أن العرب والأعراب كانوا يقيمون خارج المدينة ، وأن الذين ساروا مع الرسول هم المهاجرون والأنصار (أي مسلمي المدينة) والعرب ، غير أن دراسة المشاركين بالحديبية ، وكذلك بغزوة خيبر التي اقتصرت على من شارك في الحديبية[٤] ، لا يظهر فيها غير مسلمي المدينة والقبائل التي حولها، مما قد يدل على أن كلمة (العرب) قد اقحمت في النص دون أن تكون لها دلالة محددة لتمييز جماعة عن غيرهم .

ويذكر إبن إسحق أن مشركي قريش لما أصَرُّوا على عدم دخول المسلمين مكة قال الرسول (ص) « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين »[٥] .

إن هذا النص يظهر أن الرسول (ص) كان يريد، بعد تأمين خطر تهديد قريش، أن يُرَكِّز على نشر الدعوة بين العرب الذين يدل سياق الكلام على أن المقصود بهم أهل الجزيرة عموماً بصرف النظر عن أوضاعهم أو مستوياتهم الحضارية .

إن نشر الاسلام بين العرب المقيمين في جزيرة العرب ، هو الخطوة الثانية التي كان لا بد من العمل على تنفيذها بعد تحقيق الخطوة الاولى وهو تأمين خطر تهديد قريش ، وهذا لا ريب في أنه تدبير منطقي ومرحلي ، فأما أنه منطقي فلأن العرب كانوا هم سكان جزيرة العرب ، فهم المتصلون بدولة الاسلام والمحيطون بها ، ولمّا تزل الدعوة الإسلامية وثيقة الصلة بهم ، ولا يمكن توسيع نشر الاسلام قبل إتمام نشره في الجزيرة .

(٣) سيرة إبن هشام ٣/٢٥٥-٦ .
(٤) الطبقات لإبن سعد ٢ - ١/٧٦ .
(٥) كذلك ٣/٥٢٧

غير أن الاهتمام بنشر الإسلام بين عرب الجزيرة كخطوة ثانية ، لا يعني أن الرسالة الاسلامية كانت إقليمية محدودة أو محلية ضيقة أو أنها كانت ذات هدف وقتي ، وأما أنها كانت إنسانية عالمية فهذا واضح من الآيات الكثيرة التي نزلت حتى ذلك الوقت تؤكد أن الله تعالى أرسل الرسول للناس كافة ورحمة للعالمين ، وأما أن هدفه لم يكن ضيقاً أو قصيراً فيتوضح من الرسائل المتعددة التي وجهها الرسول بعد الحديبية الى حكام الدول والأقاليم في خارج الجزيرة ، وكل هذه الرسائل تعلن الاسلام وتعرف به وتدعو الى اعتناقه .

إن السلم الذي حققه صلح الحديبية مع مشركي قريش، هيأ للرسول(ص) الفرصة لزيادة توسيع الدولة الاسلامية ، ونشر الاسلام ، والواقع انه حالما عاد الى المدينة بعد إتمام صلح الحديبية توجه الى الشمال وأخضع المستعمرات اليهودية كافة في شمال الحجاز ، بما في ذلك خيبر وفدك ووادي القرى ؛ ثم انه ثبَّت سلطة الدولة على الأعراب ، وضم اليها عدداً من القبائل والعشائر التي لما تكن قد اعتنقت الاسلام ، أو انضمت إلى دولته ، فلما تقدم الرسول (ص) لفتح مكة كان معه عشرة آلاف مقاتل من المسلمين [٦] ، وكلهم طبعاً من العرب ، وهو أكبر جيش شهدته الجزيرة خلال قرن من الزمن على الأقل .

كان فتح مكة حدثاً خطيراً في تاريخ الدولة الاسلامية ، فقد انتهى به ذلك الصراع الدامي المرير الذي استمر سنوات عديدة أخذ فيه معظم وقت الرسول(ص) وجهده، وبهذا الفتح أزيلت العقبة الرئيسة بوجه نشر الاسلام وتوسيع دولته ، وزال الشرك من مكة ، وأصبح كل أهلها مسلمين ، ولم ينتقم الرسول من أهل مكة بل أمّنهم وعاملهم باللين والحسنى ، وأغدق الهبات على زعمائهم « ليؤلف قلوبهم » إلى درجة اغاظت بعض الأنصار وحملتهم على الاحتجاج عليه . وظلت مكة حرماً مقدساً وقبلة الصلاة ومركزاً للحج، وأبقيت مراسم الحج وشعائره مع تعديلات بسيطة ، وبقيت الوظائف المتعلقة

(٦) الطبري ١/١٦٢٨

بالحج ، كالسقاية وعمارة البيت ومفاتيح دار الندوة ، بيد أصحابها ، وعيّن على ادارة مكة شاباً أموياً من أهلها ، وهو عتاب بن أُسيد .

وقد قدّر أهل مكة حسن معاملة الرسول لهم ، وأدركوا أن الاسلام يُبقى لمكة مكانتها الدينية وقدسيتها ، ويوفر لهم تأمين وتوسيع مصالحهم المادية ، فأعلنوا إسلامهم وتمسكوا بدولة الاسلام وبقوا عليه ، فلما توفى الرسول (ص) لم يرتدوا بينما ارتدت معظم العرب [٧] .

وكان من أهم نتائج فتح مكة ان علت سمعة الرسول (ص) في الجزيرة العربية وأدركت القبائل قوته وسلطانه ، كما شعرت أن الدين الجديد كان يهدف إزالة الفاسد من نظمهم ولذلك بدأت وفود القبائل تأتيه من مختلف انحاء الجزيرة وأطرافها معترفة برسالته ومعلنة إسلامها وطاعتها . وقد حفظت كتب السيرة والتاريخ أخبار عدد من هذه الوفود وأسماء رجال بعضها وشروط مبايعتهم وما كتب الرسول لهم من كتب [٨] .

وقد قَبِل الرسول (ص) إسلام هؤلاء الوفود ، واعتبره معبراً عن إسلام قبائلهم ولم يفرض عليهم تبديل أماكن سكناهم ، أو تغيير نظامهم القبلي وتنظيماته بل اكتفى بالسيادة الإسمية وفرض الصدقة ، وكان مقدارها صغيراً ، لا يتجاوز ٢٫٥ ٪ ويبدو أنها كانت تؤخذ من حواشي أموال الاغنياء ، لتصرف على الفقراء من من اهل القبيلة ذاتها ، والراجح ان رؤساء العشائر أنفسهم في معظم القبائل كانوا يقومون بجمع الصدقات وتوزيعها على المعوزين في العشيرة ، وأن قليلاً جداً من هذه الصدقات كانت ترسل إلى المدينة ذاتها .

ومن أهم نتائج هذه السياسة هو انتشار الأمن والسلام في الجزيرة ، وبداية طاعة العرب لسلطة مركزية واسعة وخارجة عن نطاق القبيلة الضيق ، كما أنهم اصبحوا جميعاً ضمن دولة واحدة تعلو فيها كلمة الله ويظلها الاسلام ، وهذه الدولة تجمع العرب

---

(٧) الطبري ١٨٧١/١

(٨) جمع حميد الله كتب الرسول الى وفوده في كتابه «الوثائق السياسية في عهد الرسول والخلافة الراشدة»

وتوحدهم سياسياً وتجمعهم عقائدياً ، فيرتبطون جميعاً برابطة واحدة هي فوق الروابط القبلية وعصبياتها المحدودة الضيقة .

ولما توفي الرسول (ص) إنتُخب أبو بكر بعد مناقشات قصيرة تمت في المدينة وشارك فيها القاطنون في المدينة ، غير أن بعض القبائل كانت تتصور أن التزاماتها تجاه الاسلام ودولته هي إلتزامات تجاه شخص الرسول (ص) ، فلما توفي (ص) ظنوا أنهم في حل من هذه الالتزامات ، وأرادوا التحلل منها ورفضوا الاعتراف بخلافة ابي بكر ، ونشط عدد من الانفصاليين ومدّعي النبوة ، الامر الذي عرض الدولة الاسلامية الجديدة الى التفكك والى خطر تجدد الحروب الداخلية .

واجه أبو بكر هذه الأخطار ، وأدرك أن تساهله سيؤدي الى تفكيك الدولة والمجتمع الاسلامي ، والى هدم ما بذل الرسول (ص) خلال سنوات طويلة في تكوينه وتثبيته .

وكان أبو بكر يرى أن التزامات القبائل والمسلمين هي لدولة الإسلام وأنها تظل باقية تجاه كل من يرأس تلك الدولة ، باعتباره خليفة الرسول (ص) اي وريثه في المركز السياسي ، لذلك يجب أن تبقى له كافة ما للرسول (ص) من حقوق والتزامات ، وأن واجبه الإستمرار بما قام به الرسول (ص) من الناحية السياسية ، وانه اذا فرّط في أي شيْ منها فانه سيفرط في الدين الاسلامي الذي سيكون نطاقه محصوراً ، ويتعرض لتهديدات الانفصاليين الذين يريدون بقاء النظم والأفكار البالية التي عمل الإسلام على إزالتها .

لذلك أصر أبو بكر على وجوب إقرار القبائل واعترافهم بسيادته ، باعتباره خليفة للمسلمين ورئيساً للدولة الاسلامية . وقام من أجل ذلك بتجهيز قوات عسكرية استطاعت أن تتغلب على المنشقين والإنفصاليين أو المرتدين وبذلك أعادت وحدة الدولة ، وثبتت سلطان الخلافة . وركز فكرة سيادة الدولة وسلطانها الأعلى في الجزيرة العربية.

وكانت قد ظهرت في أواخر حياة الرسول حركات محلية إنعزالية قادها بعض الأفراد متبعين اساليب منوعة ، فبعضهم ادعى النبوة ، وبعضهم اقتصر على التمسك

بزعامته السياسية. ولكن كافة هذه الحركات الانعزالية رغم تفرقها تتسهم بخصائص متشابهة ، فكل منها لا تقر بسلطة الرسول ولا تتعاون معه ، كما أن كلاً منها كان أنصاره من العرب ؛ وتعتمد في وجودها ومدى قوتها على شخص رئيسها ، ولم يكن لأي منها فكرة واضحة دافعة عن إيجاد نظام شامل لكل العرب ، كما أنه لم تجر بينهم أية محاولة للتعاون أو تكوين جبهة موحدة تقف بوجه توسع الدولة الاسلامية في الجزيرة .

لقد نشطت هذه الحركات على أثر وفاة الرسول وازداد عددها بما انضاف إليهـــا من حركات ذات موقف سلبي من الدولة الاسلامية الجديدة ، أي انها إنعزالية مفرقة تتسم بالرجعية دون أن يكون لأي منها فكرة جديدة تجمع أنصارها وتحركهم . وقد استطاع الخليفة الأول أبو بكر الصديق من القضاء على كافة هذه الحركات ، فثبّت مكانة الخلافة كسلطة عليا لم يعد وجودها موضع نقاش ، بصرف النظر عن الخلافات حول أشخاص شاغليها ، كما أنها أكملت وثبتت وحدة الجزيرة في دولة واحدة تقوم على فكرة عامة عليا جديدة ، وهي الاسلام ، وتدفع معتنقيها الى الحركة والتوسع .

وبعد القضاء على حركات الردة أصبحت دولة الاسلام تشمل كل الجزيرة ، وصار مواطنوها كلهم تقريباً من العرب ، تجمعهم دولة واحدة ، ودين واحد ولغة واحدة تعبر عن ثقافة وأصول مشتركتين ، وكانت السلطة المركزية تؤكد على هذه الروابط المشتركة وتعمل على جعلها ذات فاعلية .

ولا ريب في أن الدين هو القوة الفاعلة والفكرة الأساسية في الدولة الجديدة ، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن أحكام الدين ومبادئه واسعة ، فهي تشمل الأفكار عن الخالق والكون ، وعن علاقة الفرد بالخالق وبالمجتمع ، وما يتصل بذلك من جوانب أخلاقية واجتماعية واقتصادية ، واذا كان العرب قد عرفوا كثيراً من جزئياتها وألفوها ، فان الصورة الكلية الشاملة هي جديدة عليهم ، وأن حركات الردة تظهر عدم إقبالهم على تقبلها تلقائياً والواقع أن معظم أهل الجزيرة ظلوا يتسمون بالأعرابية التي أساسها العصبية القبلية والمثل البدوية ، وقد تطلب إزالة هذه السمة واحلال الأفكار الدينية في حياتهم وقتاً غير قصير .

لم تقم الدولة الجديدة بعمل إيجابي حازم لاجتثاث التنظيم القبلي والروح القبلية الأعرابية التي عند ازدياد عنفها تناقض وتهدد الرابطة العامة للدولة كما تهدد مثلها الدينية الجديدة، غير أن قيام هذه الدولةوترسخهاجعل لها اليد العليا والمكانة الأولى لمنعها ، وهكذا ضبطت الروابط القبلية ووجد مناخ جديد لتثبيت وتنمية الرابطة العامة للدولة الجديدة،أي رجحان العوامل الموحدة لهذهالدولةالجديدة.ولاريب في أن أبرز هذه العوامل الموحدة هي اللغة العربية وما يتصل بها من أفكار ونظرات وثقافة وأصول مشتركة .

ونظراً لقدم هذه اللغة ، وعمومية استعمالها ، وتقدير العرب إياها واعتزازهم بها ، هذا بالإضافة إلى أنها أساسية للدين الإسلامي الجديد باعتبارها لغة القرآن الكريم ، ولغة الفرائض الاسلامية ولغة الرسول ، فقد أصبحت قوة فاعلة في توحيد مجتمع الدولة الجديدة .

إن بروز اللغة كعامل موحد ، وتثبت الدولة كمعبر عن المصالح المشتركة أدى الى إنماء الدولة الجديدة عملياً الظواهر التي نسميها اليوم مقومات القومية ، فالواقع أن عرب الجزيرة أصبحوا كلهم تقريباً مسلمين ، كما أن دولة الاسلام في هذا الوقت كانت تشمل الجزيرة فحسب ، أي أنها أصبحت دولة العرب .

غير أنه لابد من الإشارة إلى أن عدداً من العرب ظلوا حتى فيالجزيرة غيرمسلمين، كبني الحارث بن كعب في نجران ، وربما عدد من النصارى في أماكن اخرى ؛ وقد أباح الإسلام بقاء معتنقي الأديان السماوية الأخرى التي اعتنقها عدد من العرب ، وخاصة النصرانية،ولكنه لم يقر بقاء الشرك والوثنية . وقد اعتنق بعض غير العرب الإسلام ، ولكن عددهم كان قليلا جداً في هذا العهد المبكر .

ولما انتهى أبو بكر من القضاء على أخطار حركات الردة وجه الجيوش الى الأقاليم المجاورة ، ومع أن أبا بكر لم يستخدم المرتدين (٩) إلا أن جيوشه ظلت من العرب ،

---

(٩) الطبري ١/٢٠٢٠ ، ٢٢٢٥ ، ٢٤٥٨

كما أنه أختار قواده من العرب، ويلاحظ أنه لم يراع في اختيار القواد أسبقيتهم في الإسلام، فكل قواده الكبار تقريباً، وهم خالد بن الوليد، وخالد بن سعيد، ويزيد بن ابي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وعكرمة بن أبي جهل، هم ممن أسلم بعد الحديبية كما أنهم جميعاً من أهل مكة، وإن كانوا من عشائر متعددة، وان الإنجازات العسكرية العظيمة التي حققها هؤلاء لا تعنى أنهم احتكروا خبرة القيادة العسكرية، بدليل ظهور عدد آخر من عظماء القواد بعدهم بقليل. وقد يكون اختيارهم من أهل مكة لشدّ أهلها بالاسلام بعد أن وقفوا موقف المؤيد ولم يرتدوا، أو قد يكون اختيارهم راجعاً الى إدراك ابي بكر تقدير العرب مكانة أهل مكة فاختار قادته من أهلها، وعلى أي حال فإن هذا الإختيار عزز مكانة أهل مكة في الدولة الجديدة، فلم تعد المكانة الكبرى حكرا للمقيمين في المدينة التي ظلت محتفظة بمركز القيادة لوجود الخلافة والمهاجرين والانصار من الصحابة الأولين فيها. فأبو بكر لم يعتبر السابقة في الاسلام شرطاً أساسياً لإختيار القادة، كما أنه لم يراع العصبية القبلية بدليل أنه اختارهم من قبائل متعددة، وليس فيهم أحد من عشيرته (تيم) غير أنه لم يختر قائداً من القبائل العربية في الجزيرة، وهي التي كونت عظم الجيوش الاسلامية.

(٢) إمتداد الدولة إلى الأقاليم المجاورة للجزيرة

إن الأقاليم المجاورة لجزيرة العرب التي توجهت اليها الجيوش العربية مرتبطة بالجزيرة جغرافياً وبشرياً، فأما العراق فأرضه متصلة بالجزيرة ومناخه كمناخها، واذا كان الإداريون قد اعتبروا حدود العراق الغربية هي حدود الأراضي المزروعة فيه، فان هذا التحديد عمراني إداري قابل للتبدل، والواقع أن المنطقة الصحراوية، أي التي لا تكفي أمطارها للزراعة، تمتد الى أطراف دجلة الجنوبية والوسطى.

أما بلاد الشام فان طبيعة اراضيها تتشابه مع أرض الجزيرة الى أطراف جبال لبنان، وعلى هذا فلم تكن توجد حدود طبيعية تفصل بين هذا الاقليم وبين جزيرة العرب، وبالنظر لثروة هذا الإقليم، فقد استمرت الهجرات الصغيرة والكبيرة اليه

بحيث إن هؤلاء المهاجرين كونوا الغالبية العظمى للسكان ، منذ أقدم الأزمنة ، وثبتوا لغتهم وخصائصهم في ذلك الاقليم .

غير أن الأوضاع الحضارية في بلاد الشام جعلت كثيراً من هؤلاء السكان الذين هم من أهل جزيرة العرب في الأصل، يستقرون ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة والاعمال التي تنشط عادة في المدن ، ورافق هذا تطورات ثقافية وسعت اختلافاتهم عن أهل الجزيرة ، غير أن هذه الاختلافات لم تكن عرقية أو كبيرة ، يضاف إلى هذا أن الأطراف المتصلة بالصحراء ، حيث الزراعة غير كثيفة والمدن قليلة ، وصلتها بالجزيرة وثيقة ، كانت أحوال أهلها الحضارية أقرب الى أحوال أهل الجزيرة ، ولذلك كوّنوا قبائل كان بعضها يتمتع بسلطان على المناطق التي يقيمون فيها ، ومن هذه القبائل الضجاعم وسليح ، أما عند ظهور الاسلام فقد كانت ابرز هذه القبائل هي لخم وجـــذام في فلسطين ، وبلقين وعاملة وبلي وبعض عشائر قضاعـــة في أطراف فلسطين ، وغسان في منطقة الجولان ؛ وكلب في بادية الشام وأطراف دمشق ، وتنوخ بين حماة وحلب ، وتغلب في وادي الفرات والخابور ، واياد التي كانت تقيم بين تكريت وسنجـــار ، وبكر التي تسكن في الاطراف الغربيـــة من العـــراق بفروعها عجل قرب الجيرة ، وشيبان بين الحيرة والابلة .

وكانت تحكم هذين الاقليمين دول أجنبية في أُصولها وثقافاتها ، ففي العراق كان الحكام هم الساسانيون ، وهم فرس زرادشتيون ، أما في بلاد الشام فالحكام هم البيزنطيون المتمسكون بالحضارة الرومانية والثقافة الاغريقية .

لم يحاول الساسانيون تضييق الاختلاف بينهم وبين أهل العراق ، فلم ينشروا بينهم اللغة الفارسية أو الدين الزرادشتي ، أما البيزنطيون فقد اعتنقوا المسيحية التي كان يعتنقها اهل الشام ، غير أن الدولة البيزنطية اهتمت بالأمور المذهبية ولم تعتنق المذهب اليعقوبي المونوفستي الذي اعتنقـــه أهل الشام أو المذهب النسطوري الذي اعتنقه أهل الجزيرة، واذا كان الساسانيون لم يهتموا كثيرا بأمر الاختلاف الديني ،

فان الحكام البيزنطيين اهتموا بالمشكلة وخاصموا السكان لعدم اعتناقهم مذهب اهل القسطنطينية ، ومن حيث العموم فان الخصومة كانت أقوى بين سكان المناطق الصحراوية وبين الحكومة القائمة في كل من هذين الإقليمين .

فلما تقدمت الجيوش العربية الى هذين الإقليمين ، لم يتحمس سكانها للدفاع عن الدول الحاكمة ، وأظهروا ميلاً نحو الجيوش العربية الاسلامية وتأييداً كان أقوى عند القبائل القاطنة في أطرافها حيث أسرع كثيرمنهم الى الانضمام الى الجيوش العربية الاسلامية والقتال معها منذ المراحل الأولى التي لم تتم فيها انتصارات باهرة أو حاسمة بعد ، ويلاحظ أن المياليين إلى الجيوش الاسلامية العربية ، وكثير منهم قاتل مع العرب في هذه المراحل الاولى كانوا نصارى ، كبني تغلب وعجل مثلا ، وإن كنا لا نستطيع الجزم بمقدار نسبة من اعتنق الإسلام منهم في هذه المرحلة الاولى ، وهذا الموقف يظهر أهمية العامل القومي في الانضمام الى الجيوش .

إن كتاب تاريخ الامم والملوك للطبري فيه اوسع المعلومات والنصوص عن حوادث الفتوح والتوسع العربي ، وقد نقل الطبري هذه المعلومات من مصادر كتبت في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ، وحافظ على دقة النقل ، فما جاء فيه يعبر عن معلومات الرواة في القرن الثاني ، والراجح ان هؤلاء الرواة كانوا متفهمين للجو السائد عند الفتوح ، فكانت كتاباتهم تُعبِّر إلى حد كبير عن ذلك الجو .

يظهر من النصوص التي وردت في الطبري ، أن أكثر ما أُطلق على الجيوش التي خرجت من الجزيرة لفتح العراق خاصة هي كلمة « العرب » وليس كلمة « المسلمين » ففي الحوادث التي بين تقدم العرب الى اطراف العراق ، وموقعة نهاوند ، وهي أشد الفترات إزدحاماً بالحوادث تكررت كلمة العرب اكثر من عشرين مرة ، أما كلمة المسلمين فتكررت في اربعة مواضع .

وقد ترددت كلمة العرب مقابل العجم (العرب والعجم) في ستة مواضع [١٠]

---

(١٠) الطبري ٢٠٤١/١ ، ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٩ ، ٢١٩٤ ، ٢٥٤٧

وذكر أهل فارس في مكانين [11] ، ومن الطبيعي أن يكون أبرز ما يميز أهل الجزيرة عن الفرس هو العروبة ، فيوضع العرب مقابل العجم ، لأن التباين الجنسي واللغوي والديني والثقافي كان واسعاً بينهما .

ولا ريب في أن سياسة أبي بكر كانت ذات طابع اسلامي ، فهو لم يستعن بأهل الردة حتى بعد عودتهم إلى الإسلام ، ولا يمكن ان نعزو ذلك الى صحة شكه فيهم ؛ لأن ضعف مقاومتهم في ارتدادهم للجيوش الاسلامية ، هو مظهر لسطحية عقائدهم وان توجههم للفتوح لم يكن يتطلب اكثر من طاعة لسلطة مركزية لا تمارس نفوذاً مباشراً كبيراً ، فضلاً عن أنها تأتيهم بالغنائم .

إن معظم النصوص التي توضح اعتماد الجيوش الاولى على « العروبة » بالدرجة الاولى ، صادرة من القواد ، ولعل مما حملهم على التأكيد على رابطة العروبة هو إدراكهم قوتها في الجمع بين العرب وتمييزهم عن الفرس الذين كونوا في العراق طبقة ارستقراطية تدين بالزرادشتية ، وهو دين متشدد ، وبذلك عزلوا أنفسهم عن الناس .

اما العرب فكانوا إما نصارى ، وعقائدهم أقرب الى الاسلام ، أو مشركين فعقائدهم تشبه عقائد أهل مكة قبل اسلامهم ، ويلاحظ أن أهل مكة عند ظهور الاسلام ، لم تكن علاقاتهم سيئة مع بقية العرب ، فهم قوم يهتمون بالتجارة ويعملون على نشر السلم ، فهم مصدر نفع للعرب . ويلاحظ ايضاً ان القواد المسلمين الأولين هم من أهل مكة في الأصل ، وأن الخلفاء أيضاً قريشيون .

وكان المناذرة يسيطرون على الاراضي الواقعة في شرقي جزيرة العرب ، ويمتد سلطانهم ونفوذهم من أطراف العراق الى البحرين ، والى جبلى طي ، وقد عملوا على نشر السلم والأمن في الجزيرة ، ولم يفرضوا سلطاناً دكتاتورياً على أهل الجزيرة أو يعسفوهم ، وكانت مرونتهم في المعاملة عاملا في منع اصطدام العرب بالأقاليم الشرقية ، فلما زالت دولة المناذرة ، توترت علاقة الساسانيين بالعرب في أطراف العراق

(١١) الطبري ١/٢١٧٩ ، ٢١٨٩

وأصبحت المواجهة بينهما مباشرة ، وصاحب ذلك اضطراب الحكم الساساني وازدياد الخلافات على العرش .

فلما تقـــدم خالد بن الوليد الى العراق اهتم بالعامل القومي لانه الرابطة القوية العريقة التي تربط العرب وتميزهم عن الفرس وغيرهم ،ويلاحظ أن الإسلام لما يكن قد تغلغل في النفوس كافة ،وأن كثيراً من القبائل التي انضمت الى الاسلام مؤخرا لم تتشبع بروح الاسلام .

فلما حاصر خالد بن الوليد قصور الحيرة بدأ باصحاب عدى فقال ويحكم ما أنتم ؟ أعرب ، فما تنقمون من العرب ، أو عجم فما تنقمون من الإنصا ف والعدل ، فقال له عدي : بل عرب عاربة وأخرى متعربة ، فقال لو كنتم كما تقولون لن تعادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي ليدلك على ما نقول إنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال صدقت (١٢) وقال عمر بن بقيلة « والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد » (١٣) ، .

وقد أشارت النصوص الى أن عدداً من العرب غير المسلمين عاونوا الجيوش الاسلامية في المراحل الأولى على مقاتلتها الفرس ، ومن هؤلاء أهل الحيرة الذين ذكرنا أعلاه موقفهم ، وكذلك أهل الأنبار (١٤) .

ومن ابرز من استجاب لنداءات الجيوش العربية هم بنو النمر ، وبنو تغلب ، وهم نصارى ، فقدذكر الطبري ان المثنى حرض أنس بن هلال للانضمام اليه وقال له « يا أنس إنك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا » (١٥) وأن أنساً جاء مسنداً للمثنى في أناس من بني النمر نصارى وجلاّب جلبوا خيلا ، وقدم ابن مردى الظهري التغلبي في أناس من بني تغلب نصارى وجلاّب جلبوا خيلا ، وهو عبدالله بن كليب بن خالد ، فقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا (١٦) .

---

(١٢) الطبري ٢٠٤١/١
(١٣) كذلك ١٠٤٤/١
(١٤) كذلك ٢٠٦١/١
(١٥) كذلك ٢١٤٤/١
(١٦) كذلك ٢١٩٠/١

غير أن المصادر ذكرت أن بعض نصارى العرب قاوموا الجيوش العربية في العراق مثل أهل عين التمر الذين قاتلوا خالداً فانتصر عليهم وأخذ منهم عدداً من الاسرى [١٧] ويذكر الطبري أن بعض عرب الضاحية قاوم خالد بن الوليد في معركتي الوَلَجَة وأُلّيس فأثار عملهم استياء من انضم الى خالد من عرب العراق ، وكان أشد الناس عليهم ، مسلمو بني عجل ، عتيبة بن النهّاس ، وسعيد بن مُرّة ، وفرات بن حيّان ، والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي [١٨] ، واذا لم يكن في هذه الرواية تحيز ضد بكر ، فانها تعبر عن موقف عدد محدود قلق عند أول قدوم جيش خالد حين لم يكن إنتصار العرب واضحاً ، وكان قدوم خالد مفاجئاً ؛ والواقع أن الموقف تبدل بعد ذلك فلم يقف عرب العراق موقفاً معادياً للجيوش العربية ، فاستسلمت الحيرة والأنبار . ولم تذكر المصادر خبراً عن أي عربي حارب مع الفرس في المعارك التالية .

وكان عمر أكثر تقديراً للدور الذي يمكن أن يقوم به العرب في الفتوح ، وتدل أعماله وبعض الأقوال المنسوبة له أنه كان يرى أنهم العماد الأول للمقاتلة والفتوح ، لذلك أباح لمن كان قد مُنِع في خلافة ابي بكر من الاشتراك في الفتوح ، وكان أبو بكر امتنع عن الاستعانة بهم [١٩] ، أي أنه كان يريد الابقاء على وحدة العرب دون أن يتيح المجال لمطالبهم أن تكون سبباً في انشقاقهم ، وأدت هذه السياسة الجديدة إلى سد الثغرة التي كان يمكن أن تقسم العرب وتهدد وحدتهم ، وكان هؤلاء «المرتدون» عند حسن ظن الخليفة عمر فقد أقبلوا ينضمون الى الجيوش الإسلامية بأعداد كبيرة ، وقاتلوا بحمية وحماس حتى غدا بعضهم من أبرز فرسان المسلمين مثل طليحة الذي رأس ردة بني أسَد ، ولم يخلق هؤلاء « المرتدون » أية مشاكل إدارية أو عقائدية للجيش ، وانغمروا بالروح العامة السائدة ، فلم يعد أحد يذكر موقفهم الردي‌ء السابق.

ومن مظاهر اهتمام الخليفة عمر بالعرب أنه منع استرقاق العرب وأمر بتحرير

(١٧) كذلك ١/٢٠٦٢
(١٨) كذلك ١/٢٠٣٠ - ٢٠٣٢
(١٩) كذلك ١/٢١٨٣ ، ٢٢٢٥ ، ٢٤٥٨

المسترقين منهم ، وكان بيت المال يدفع المبالغ المطلوبة لاسترقاقهم [٢٠] وقد أوصى عند وفاته أولياء الأمور من بعده بأن يحسنوا معاملة العرب حيث قال « ولا تَجلْدوا العرب فتُذلوها ولا تُجَمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها » [٢١] كما اوصى الخليفة من بعده بالعرب لأنهم مادة الاسلام [٢٢] وفي مكان آخر « والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الاسلام » [٢٣].

وعندما وضع ديوان العطاء للمقاتلة ، رتبهم عمر تبعاً لعشائرهم ، وبذلك جعل التنظيم القبلي أساساً لتنظيم ديوان العطاء ، غير أن مقدار العطاء في المدينة تقرر تبعاً للسابقة في الاسلام ، وفي الأمصار الاخرى تبعاً لقدم ومدى المساهمة في الفتوح [٢٤].

ومنع عمر زواج المقاتلة العرب بنساء الاقاليم التي ضمت حديثاً الى الدولة ، وأمر بابطال كل زيجة من هذا النمط [٢٥] ، ولا ريب في أن هذا المنع يؤدي الى عزل المقاتلة عن أبناء البلاد المستوطنين ، والى تحديد اختلاط العرب ببعضهم فيحتفظوا بثقافتهم الخاصة وروحهم العسكرية كما يؤمن للنساء العربيات المهاجرات مع المقاتلة أزواجَهن ، ذلك المجال الذي لا بد ان يضيق اذا فشا الزواج بالأعجميات بين الرجال المقاتلة .

وكان عطاء المقاتلة هو الباب الرئيس في النفقات ، ولما كان المقاتلة ــ في هذه الفترة المبكرة ــ هم من العرب ، فان هذه النفقات كانت تصرف عليهم .

ومن الطبيعي ان الخليفة ومستشاريه ، وكبار الولاة والقادة هم من العرب لذلك يمكن القول ، ان العرب اصبحوا هم المهيمنين على الدولة .

(٢٠) الأموال لابي عبيد ١٣٣ – ٤ فتوح البلدان ١٠٤

(٢١) الطبري ٢٧٤١/١

(٢٢) الطبري ٧٢٤/١

(٢٣) كذلك ٢٧٧٥/١ ، وقد وردت في شرح نهج البلاغة « وأهل البادية الذين هم أصل العرب . . » ٩٥/٣

(٢٤) انظر مقالنا « العطاء في الحجاز » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي وعن تنظيم العطاء في البصرة : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » .

(٢٥) الأموال لابي عبيد ١٣٩

(٣) العرب في العراق

عندما تم فتح العراق وتشتتت الجيوش الساسانية المندحرة ، واتضحت سيطرة العرب على إقليم العراق ، إهتم عمر بأمر إيجاد قواعد للسكنى الدائمة للمقاتلة العرب ، فأمر بإنشاء أمصار ، ووضع لاختيار مواقعها شروطاً راعى فيها أن تلائم أحوال العرب وحاجة الدولة ، فاشترط أن يكون كل منها على طرف الصحراء متصلا بها لا يفصل بينهما ماء ، وأن يكون مناخها صحراوياً جافاً ، لملاءمـــة هذا المناخ للابل وللعرب وكانت الامصار التي اتخذها ستة هي المدينة (في الحجاز) وجواثا (في البحرين) والبصرة والكوفة (في العراق) والجابية (في بلاد الشام) والفسطاط (في مصر) ، ثم أنشئت في خلافة معاوية القيروان في شمالي إفريقية ، وكانت لها نفس السمات والخصائص . (٢٦)

إن ثلاثة من هذه المراكز الستة ، وهي المدينة ، وجواثا ، والجابية ، هي مدن عربية كانت قائمة ومزدهرة منذ القديم ، أما الثلاثة الاخرى ، فهي جديدة وقـــد أسست لأول مرة في هذا الزمن ، غير أن كلا منها كان بالقرب من مركز حضاري وثقافي قديم ،فالبصرة قرب الأبُلّة وفرات البصرة ، والكوفة قرب الحيرة ، والفُسْطاط قرب هليوبوليس .

كانت هذه الامصار قواعد للاقامة الدائمة للمقاتلة العرب وعيالاتهم ، ومراكز لاقامة الولاة وما يتصل بهم من دواوين ، فهي تتميز عن المدن العربية الأخرى بكون كل منها مركزاً إدارياً لمقاطعات وأقاليم واسعة ، كما تتميز عن المدن الأعجمية بكون أهلها من العرب المسلمين ؛ وقد تأثر تنظيمها وادارتها بهذين العاملين القويين .

وتشترك هذه الأمصار بخصائص مشتركة ، ففي كل مصر جامع واحد واسع جداً يتسع لكافة الرجال من السكان ، والجامع ساحة واسعة محاطة بسياج يحددها ،

---

(٢٦) في كتابى « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » تفاصيل اوفى عن الموضوع.

ثم أبدل بالسياج حائطاً كالسور ، يتمكن أن يدافع فيه من في الجامع عن أنفسهم عند حصاره .

وفي الطرف المواجه للقبلة منبر يخطب منه الوالي في الصلاة ، أو عندما يريد إعلان الأوامر وتبليغها في الأيام الأخرى عند الحاجة ، وفي هذه الجهة من الجامع ظلة تقوم على أعمدة وسواري من الخشب أو الحجارة ، لتقي المصلين الشمس أو المطر .

والجامع هو البناء العام الرئيس لأهل المصر ، فهو مركز يقيم فيه الناس صلاة الجمعة والصلوات الأخرى ، ويجتمع فيه الوالى بالناس لتبليغ ما يقتضي تبليغه ، ويجلس فيه القاضي للنظر في القضايا المعروضة عليه ، وفي الجامع أيضاً يجتمع الناس ويتحدثون في الأمور الخاصة والعامة ، أو ينشدون الشعر أو يتناقشون في الأمور السياسية والفكرية ، وهو مكان يستريح فيه البعض ، فهو مركز للحياة الدينية والإدارية والإجتماعية والفكرية . وقد اتخذه بعض الولاة في أحوال اضطرارية مركزاً عسكرياً تحصنوا فيه مع جندهم عندما دهمتهم الأخطار .

وفي إحدى جهات الجامع من خارجه ، بنيت للأمير دار يقيم فيها ، وبالقرب منها بيت المال وربما الدواوين . ودار الامارة وبيت المال تقع عادة في جهة القبلة .

وتحيط بالجامع ودار الامارة من كافة الجهات رحبة واسعة جعل سعد بن ابي وقاص في الكوفة عرضها مرمى سهم ، وتتفرع من هذه الرحبة شوارع عريضة يمتد كل منها الى طرف المدينة ، ويتفرع من كل شارع طرق ودروب أضيق وأقصر .

لم تكن في أي من هذه الامصار التزيينات التي تكثر في المدن الاغريقية والرومانية كالتماثيل والأقواس والزخارف ، ولم تخصص فيها مناطق للحدائق أو للملاعب ، بل لم يذكر في أي منها ساحة لسباق الخيل أو لتدريب الجند رغم أن أهل هذه المدن مقاتلة يحتاجون الى التدريب .

ولم تخصص فيها ارض لتكون سوقاً ، فكانت البيوع تجري في الساحات المكشوفة أو في بعض البيوت . ويبدو أن الرحبة صارت مكاناً أوسع للبيوع ، فكان لكل امرئ أن يختار بقعة يقيم فيها سلعة ذلك اليوم ، وليس لأحد أن يمنعه ، كما أنه ليس له أن يمنع من يسبقه إلى مكانه في اليوم التالي[٢٧] .

لقد ذكرنا انه بعد استقرار العرب في العراق انشئت فيه قاعدتان لاستيطان المقاتلة العرب ، وهما الكوفة والبصرة. فأما الكوفة فقد تأسست بعد اتمام فتح المدائن واستوطنتها المقاتلة التي شاركت في المعـارك الرئيسة الكبرى التي أدت الى دحـر الفرس وإقصائهم عن حكم العـراق . وكـان عدد من سكنها من المقاتلة اربعـين ألفاً[٢٨] ، وقد ظل هذا العدد للمسجلين في ديوان العطاء الى زمن الإمام علي[٢٩] ، ثم زاد في زمن معاوية فبلغ ستين الفاً[٣٠] ؛ ثم نقص الى اربعين ألفاً في زمـن الحجاج[٣١] .

إن هذه الارقام مقصورة على الرجال المقاتلة ، ولا يدخل فيها العيـال والنساء المسجلون ، كما انه لا يدخل فيها من لم يكن في العطاء . فأما العيال فقد كانوا في أول خلافة الامام علي سبعة عشر الفاً (والموالي والعبدان ثمانية آلاف) ؛ ثم اصبح عددهم في زمن زياد ثمانين الفاً ، ونقص العدد في زمن الحجاج الى عشرة آلاف[٣٢] .

ان هذه الارقام لا تشمل النساء ، كما أنها لا تشمل من لم يكن مسجلا في العطاء ، ولا ريب في ان عدد الأخيرين كان يتزايد باستمرار الهجرة الى الكوفة وبتكاثر النسل ، حيث لم يكن يسجل من الاولاد إلا واحد فقط ؛ اما المجموع الكلي لاهل الكوفة

---

(٢٧) فتوح البلدان ٢٧٥ الطبري ٢٤٨٩/١

(٢٨) الطبري ٢٨٠٥/١

(٢٩) الطبري ٣٣٧١/١

(٣٠) فتوح البلدان ٣٥٠

(٣١) الطبري ٩٤٨/٢

(٣٢) مصادرها في الهوامش الثلاثة السابقة

فيذكر سيف بن عمر أنه كان في العهد الأموي يبلغ مائة الف [٣٣] ، ويروي الشعبي ان اليمن كانت تعد في الكوفة اثني عشر الفاً ، وان نزاراً تعد ثمانية آلاف [٣٤] ، غير أنه لم يحدد الزمن الذي كان فيه هذا عدد اهل الكوفة .

ويروي بشر بن عبدالوهاب القرشي أنه كان في الكوفة خمسون ألف دار لربيعة ومضر ، وأربعة وعشرون ألفاً لسائر العرب ، وستة (؟) الف لليمن [٣٥] ولا ريب في أن الرقم الذي ذكره لاهل اليمن لا يتناسب مع كثرتهم في الكوفة ، ولعله ستة وعشرون الفاً ، فيكون عدد أهل الكوفة مائة الف بيت ، وهو ينسجم مع ما رواه سيف بن عمر. فإذا قدرنا لكل بيت خمسة ، فيكون عدد سكانها من العرب حوالي نصف مليون .

أما البصرة فكان عدد سكانها عند تأسيسها قليلا نسبياً ، لان مقاتلتها كانت تعمل في جبهة ثانوية ، غير أنها سرعان ما أزدادت اهميتها عندما اصبحت مسؤولة عن فتح جنوبي وشرقي الهضبة الايرانية، فهاجرت اليها العرب وخاصة من منطقة شرقي وأواسط جزيرة العرب ، وأصبح عدد مقاتلتها المسجلين في الديوان في أول خلافة الإمام علي ستين ألفاً [٣٦] ، ثم ارتفع عددهم في زمن ولاية زياد الى سبعين الفاً ، وكانت عيالاتهم ثمانين الفاً ، ثم اصبح عددهم في زمن ولاية عبيدالله بن زياد تسعين الفاً ، وعيالاتهم مائة واربعين الفاً [٣٧] . وهذه الأرقام تشمل المسجلين في العطاء ، فإذا حسبنا من لم يكن في العطاء فربما زاد العدد على نصف مليون .

وقد نظمت البصرة والكوفة ، والأمصار العربية الأخرى ، على أسس عشائرية ؛ فكانت كل عشيرة وحدة يسكن أفرادها متقاربين في خطة خاصة ، أي في رقعة معينة من المدينة ، وتسمى الخطة باسم العشيرة ، ولأفراد العشيرة الواحدة حقوق وواجبات

(٣٣) الطبري ٢٦٧٩/١
(٣٤) فتوح البلدان ٢٧٥
(٣٥) ياقوت : معجم البلدان ١٧٤/٣
(٣٦) الطبري ٣٣٧٠/١
(٣٧) الطبري ٤٣٣/٢ فتوح البلدان ٣٥٠ انساب الاشراف ١١٦/٢ البيان والتبيين ١٣٥/٢ .

مشتركة في القانون الجنائي وبعض نواحي القانون المدني . فهم يشتركون مثلاً في وراثة من لا وارث له ممن يموت من أفرادها ، ويشاركون جميعاً في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبه أحد أفراد العشيرة أو مواليها بصرف النظر عن علاقاتهم بالقاتل أو المقتول .

وكان توزيع العطاء يتم على أسس عشائرية فكان يحسب ما يستحقه أفراد العشيرة من العطاء ، ويسلم مجموع ذلك الى عريف يكون مسؤولا عن توزيعه على أفراد العشيرة تبعاً لسجلات منظمة تدوّن فيها اسماؤهم ومقدار عطاء كل منهم . وقدجعل العريف مسؤولاً عن تبليغ العشيرة أوامر الحكومة ، وجمع الجند عندما يضرب عليهم البعث ، وضبط الأمن والنظام فيها ، وإلا عوقبت العشيرة كلها .

وقد اعاد زياد بن ابي سفيان تنظيم العرافات في البصرة والكوفة ، فجعل كل عرافة تضم ألف مقاتل [٣٨] .

كان هذان المصران المقام « الرسمي » للعرب ، غير أن عدداً منهم امتلك القرى وصار يقيم فيها ، ومن الراجح أن كلا من هؤلاء ، كان يقيم معه أيضاً عدد من أقاربه وربما من عشيرته ، وقد ذكرت المصادر عدداً ممن امتلك القرى وأشارت الى استيطانه فيها . ومن المؤكد ان هذا قد بدأ بصورة واسعة منذ خلافة عثمان ، حيث كان من أسباب نقمة أهل الكوفة عليه .

إن معظم القرى والضياع التي ذكرت المصادر استيطان العرب فيها تقع كلها قرب الكوفة ، ولا ريب في أن أماكن أخرى استوطنها العرب ولم تذكرها المصادر .

وممن ذكرت المصادر تملكهم القرى خبّاب بن الأرت [٣٩] وعمّار بن ياسر [٤٠]

(٣٨) « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » ص ٤٩ فما بعد .

(٣٩) ياقوت ١/٥٤٤

(٤٠) كذلك ٣/٧١

وقد امتلكا في استيينا ، وطلحة الذي امتلك الصنين [٤١] ــ والنشاستج [٤٢] ومروان ابن الحكم الذي امتلك نهر مروان ، وكان أجمة [٤٣] والأشعث بن قيس الذي امتلك ظيز ناباد [٤٤] وامتلك عبـــدالله بن عمر بن الخطاب كويفـــة إبن عمر قـــرب بزيقيا [٤٥] وكانت لعمر بن سعد حمام عمر [٤٦] .

وامتلك حَكَمَة بن حذيفـــة بن بدر سوق حَكَمَة [٤٧] وصَلاَبة بن مالك العبدي قرية أبي صلابة على الفرات [٤٨] .

واستوطن هيت اولاد مِدْلاج بن عمرو السُلَمي الذي قام بفتحها [٤٩] .

وفي العهد الاموي كان المختار يمتلك لَقْفا في خطرنية [٥٠] ويذكر المسعودي ان المختار « بنى لنفسه داراً واتخذ بستاناً ، أنفق على ذلك أموالاً عظاماً»[٥١] وامتلك قُدَامة بن العَجْلان الازدي ديلمايا من أســـتان بهر سير [٥٢] وكانت لعبيد الله ابن الحر ضيعة بالجبة والبداة [٥٣] كما كانت لبني هند بنت اسماء ضيعة بالسواد [٥٤].

---

(٤١) كذلك ٣/٤٨٠

(٤٢) كذلك ٤/٧٨٣ ، الطبري ١/٨٥٤ ، ٢٩٠٨

(٤٣) الطبري ١/٢٨٥٥

(٤٤) كذلك ١/٢٨٥٥

(٤٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٨٨ ياقوت ٤/٣٣١

(٤٦) فتوح البلدان ٢٨١

(٤٧) ياقوت ٣/١٩٤

(٤٨) فتوح البلدان ٢٨٣ ياقوت ١/٧٦٠

(٤٩) فتوح البلدان ١٧٨

(٥٠) الطيري ٢/٥٢٠ انساب الأشراف ٥/٢١٤

(٥١) مروج الذهب ٥/١٧١

(٥٢) الطبري ٢/٥٧

(٥٣) الطبري ٢/٧٩٦

(٥٤) الأغاني ١٣/٧٠

وكانت لبني غاضرة بن أسد قرية الغاضرية عند كربلا [٥٥] ويبدو أن الهمدانيين كانت لهم اراضٍ في مختلف انحاء السواد ، فلما ثار عبيدالله بن الحر لم يدع مالا لهمداني الا أخذه في السواد [٥٦] .

وكانت ذات المطامير «لبني الحارث بن كعب ، خمسة وثلاثون رجلاً ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً ، ومن مواليهم سبعة عشر رجلاً » [٥٧] وكان في جبُّل نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة [٥٨] .

ولاريب في أن الإقامة الدائمة لكل من هؤلاء كانت في الأماكن التي ذكرناها ، وهذا لا يمنع إقامة عدد من المقاتلة العرب في الريف لمدة مؤقتة ، فيذكر الدينوري أن الامام علياً أراد بعد عودته من صفين دعوة المقاتلة ، فلم يستجب له عدد كبير « فأمر منادياً في الناس لا يتخلفن أحد ، وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحداً من جنوده فيها إلا حشره ، فلم ينصرف معقل بن قيس الا بعدما قتل علي [٥٩] » .

ويذكر المدائني « كان عامة عمال خالد (القسرى) الدهاقين ، فقتل دهقان منهم بفارس فأمر خالد بنفي العرب وعيالاتهم من السواد ، فقال له ابن نوفل .

أيقتل عامل بدرا بِجَرْد ... فتنفون العباد من السواد
لعلك أن ترى عما قليل ... عيالك يسكنون بكل وادي [٦٠]

ومن الصعب الجزم بصحة ما قاله المدائني ، إلا أنه يظهر إنتشار العرب في العراق بعد الفتح .

(٥٥) مروج الذهب ٤٧/٥ ياقوت ٣٨٨/٣
(٥٦) الطبري ٧٩٦/٢
(٥٧) الطبري ٧٧/٢
(٥٨) الطبري ١٦٣٤/٢
(٥٩) الأخبار الطوال ٢٢٦
(٦٠) أنساب الأشراف ٢٩٢/٨

وفي البصرة إمتلك عدد كبير من العرب أملاكاً واقطاعات في الاراضي التي حول المدينة ، وخاصة في الجانب الغربي من شط العرب (٦١)

وقد اقتضت متطلبات الأمن إقامة حاميات في مدن ومراكز عراقية متعددة ، ولعل أهم هذه الأماكن هي المدائن التي كانت قاعدة ملك الساسانيين ، فلما طردهم سعد بن ابي وقاص إتخذها مقراً له ولجنده إلى أن أُنشئت الكوفة فانتقلوا عنها (٦٢) غير أن العرب لم يجبروا جميعاً على الانتقال الى الكوفة فقد خُيِّرَ المسلمون بالمدائن فمن أعجبه المقام فيها ترك فيها كالمسلّحة ، فبقى من الأفناء وأكثرهم من عبس (٦٣) وكان في المدائن في العهد الاموي رجال من أشراف أهل المصر (الكوفة) وبيوتات الناس وبها مقاتلة لا تسعها ، عدة إن كان بأرض جوخي أو بأرض الأنبار (٦٤) ، وكان بها في سنة ٧٦ هـ « ألف فارس أخذ منهم عدي بن عميرة خمسمائة لقتال الخوارج » (٦٥) ومن مسالح أهل الكوفة الراذان ، فكانت ترسل إليها البعوث (٦٦) ويبدو ان هذه المسلّحة كانت ثابتة ، وأنه كان يسمح لرجالها بزيارة الكوفة ، فيروى ابن سعد عن أبي عبيد عن العوام بن حوشب « كان مكتب إبراهيم النخعي بِرَاذان ، وكان على تلك الناحية حوشب بن يزيد الشيباني ، قال فاستأذنه الجند إلى عيالهم فأذن لهم وأجّلهم أجَلا ، وقال من غاب أكثر من الأجل ضربته لكل يوم سوطاً »(٦٧) .

(٦١) انظر تفاصيلها في فتوح البلدان ٣٥٥فما بعد وفي مقالتنا عن خطط البصرة المنشور في مجلة سومر ١٩٥٣

(٦٢) الطبري ١/ ٢٤٨١

(٦٣) كذلك ٢٤٨٧/١

(٦٤) كذلك ٩٨٠/٢

(٦٥) كذلك ٨٩٩/٢

(٦٦) الأغاني ٦٢/٢٠

(٦٧) ابن سعد ١٩٥/٦ — ٦

وكانت في الانبار في زمن خلافة الامام علي « مسلحة تكون خمسمائة رجل » عليهم أشرس بن حسان البكري [٦٨] .

كما كانت ببغداد لهشام بن عبدالملك وغيره من الخلفاء خمسمائة فارس رابطة يغيرون على الخوارج اذا خرجوا من ناحيتهم قبل أن يضعف أمرهم [٦٩] .

وفي السنين الأولى من تقدم الجيوش العربية لمطاردة الجيوش الساسانية ، كان لا بد من وضع قوات أمامية لمراقبة القوات الساسانية ومنعها من مباغتة المسلمين بهجوم مقابل ، فلما فتح العرب المدائن ارسلوا قوات الى كسكر بقيادة النعمان بن مُقرّن ، وثانية الى تكريت ، وثالثة الى جلولاء .

وعندما تقدم العرب لمقاتلة الفرس في نهاوند « ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند ، حتى إذا انتهوا الى قلعة فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة ، فنسبت إليه وافتتحها بعد فتح نهاوند ، ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي ، أقاموا مع النسير على القلعة ، فلما جمعوا فى نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً لأن بعضهم قوى بعضاً ، ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج اليها بصفاتها » [٧٠] .

وبعد انتصار العرب في معركة نهاوند الحاسمة فرّق سعد دُستُبَى بين نفر من أهل الكوفة بين عصمة بن عبد الله الضبي ، ومهلهل بن زيد الطائي ، وسماك بن عبيد العبسي ، وسماك بن مخرمة الاسدي ، وسماك بن خرشة الانصاري ، فكان هؤلاء أول من ولي مسالح دستبى التي تقاتل الديلم [٧١]

غير أنه بعد انهيار المقاومة الساسانية كان لا بدمن إعادة تنظيم القوات الإسلامية في العراق فأبقيت القاعدة الرئيسة في الكوفة ، وانشئت قواعد امامية تنطلق منها

(٦٨) الطبري ١/٣٤٤٥
(٦٩) ابن سعد ٧ – ٦٧/٢
(٧٠) الطبري ١/٢٦٤٨
(٧١) كذلك ١/٢٦٤٩

الجيوش الاسلامية وكانت ثغور الكوفة أربعة هي حلوان، وماسبذان ،وقرقيسيا ، والموصل [٧٢] . وقد نزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبدالله فأعقابهم بها[٧٢أ]

وكانت الاهواز متصلة بكسكر وكور دجلة والبصرة منذ اقدم الازمنة ، وارضها امتداد جغرافي للاراضي التي في جنوب العراق ، فهي أرض منبسطة منخفضة تقطعها انهار كثيرة وبطائح واسعة ، وتكثر فيها زراعة النخيل وقصب السكر والارز ، وقد أدت هذه الصلة الجغرافية الوثيقة الى تغلغل العرب فيها منذ أقدم الازمنة ، وظهرت فيها في القرن الاول قبل الميلاد دولة ميسان التي ظلت تحكم هذه المنطقة قرابة اربعة قرون ، الى أن قضى عليها الساسانيون ، وكانت الثقافة السائدة في هذه الدولة نفس ما كان سائداً في جنوب العراق ،من لغة وعبادات وثقافة ، وقد انتشرت فيها المسيحية ، وكانت في جنديسابور مدرسة للطب تدرس باللغة التي كانت سائدة في العراق . وكانت القبائل العربية فيها بنو حنظلة الذين اسكنهم سابور ذو الاكتاف في نهر تيرى[٧٢ب] وجود حواجز ولما اتم العرب فتحها كانت صلاتها بمنطقة البصرة خاصة وثيقة ، بسبب القرب وعدم تعرقل الانتقال . وقد اتخذها الخوارج ميداناً لحركاتهم ، وكانت للعرب فيها سبعة مراكز ادارية يقيم فيها الولاة وتسك في معظمها النقود ، وبذلك طغوا على الخوز ، وهم فيما يبدو من بقايا العيلاميين استوطنوا في الاطراف المرتفعة الواقعة في الجهات الشمالية ، والشمالية الشرقية .

(٤) إستيطان العرب في أذربيجان

كان من أهم نتائج معركة نهاوند وانهيار المقاومة الساسانية أن انساح العرب في الهضبة الايرانية واتموا فتح أقاليمها ومدنها بسهولة ويسر ، وكان لا بد من اعادة

---

(٧٢) كذلك ٢٤٩٧/١

(٧٢أ) فتوح البلدان ٣٠١.

(٧٢ب) الطبري ٨٣٩/١، ٢٥٣٥ البيان والتبين ٨٣/٣، رأنظو عن صلتهم بالعراق أحسن التقاسيم ٤٠٣ ، ٤١٦ .

تنظيم قواتهم لتأمين السلم والأمن في هذه الهضبة ، ولحماية حدودها الواسعة ، ولذلك قام العرب في خلافة عثمان باحداث تبديلات اخرى ، فجعلت قرقيسيا والموصل تابعة لوالي الشام ومكملة للجزيرة ، واصبحت مغازي اهل الكوفة الري واذربيجان ، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ، ستة آلاف بأذربيجان ، وأربعة الآف بالري ، وكان بالكوفة آنذاك اربعون الف مقاتل ، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة الآف كل سنة ، فكان الرجل يصيبه في أربع سنين غزوة[٧٣]

فأما **آذربيجان** فإن الوليد بن عقبة استطاع إعادة السيطرة عليها في خلافة عثمان «وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الاسلام»[٧٤]

فلما ولي الإمام علي الخلافة ولىّ الأشعث بن قيس آذربيجان « فلما قدمها وجد أكثر أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن ، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومَصّرها ، وبنى مسجدها » ثم « ان العرب لما نزلت آذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام ، وغلب كل قوم على ما أمكنهم ، وابتاع بعضهم من العجم الأرضين وأُلجئت إليهم القرى للخفار ، فصار أهلها مزارعين لهم »[٧٥] .

وكانت المراغة قد نزلها مروان بن محمد ابان ولايته ارمينية ، وعسكر قربها ، فاستقر الناس فيها ، والجأ كثير من أهلها اراضيهم الى مروان ، وتألف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ، ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية ، فصارت لبعض بنات الرشيد ، فلما ولي خازم اذربيجان في خلافة الرشيد بنى سورها ومصرها وانزلها جنداً كثيفاً[٧٦] وصارت منزل السلطان باذربيجان[٧٧] .

(٧٣) الطبري ٢٨٠٥/١

(٧٤) فتوح البلدان ٣٢٧

(٧٥) كذلك ٣٢٩

(٧٦) كذلك ٣٢٥

(٧٧) تاريخ الموصل للأزدي ٣٨٣

وفي خلافة ابي جعفر ولي أذربيجان يزيد بن حاتم المهلبي وظل في ولايتها ست عشرة سنة (٧٨)، « فنقل اليمانية من البصرة اليها ، وكان أول من نقلهم ، وأنزل الروّاد بن المثنى الازدي تبريز إلى البذ ، وأنزل مربن علي الطائي زيز (....) الهمداني الميانج ، وفرق قبائل اليمن ، فلم يكن بأذربيجان من نزار أحد إلا الصقر بن الليث العتبي وابن عمه البعيث بن حليس» (٧٩) وكان بنو الرّوّاد قد انتقلوا اليها من الموصل (٨٠).

وقد نزل بنو الروّاد تبريز وحصنوها بسور فنزلها الناس معه ، اما مرند فقد نزلها حليس ابو البعيث وهو من بني اسد ، ثم حصنها البعيث ثم بنى ابنه محمد فيها حصوناً ، وبنى صدقة في اراضيه قصوراً، اما إرمية فقد دخلها صدقة بن علي بن صدقة مولى الازد وغلب عليها وبنى إخوته بها قصوراً، « وكانت الميانج وخلباثا منازل الهمدانيين وقد مدّن عبدالله بن جعفر الهمداني محلته بالميانج، وصير السلطان بها منبرا.

واما كورة برزة فللأود ، وقصبتها لرجل منهم جمع الناس اليها وبنى بها حصنا، وقد اتُخذ بها سنة ٢٣٩ منبر على كره من الاودي.

واما نويد فكانت قرية لها قصر قديم فتشعث، فنزلها مُرّبن عمرو الموصلي الطائي فبنى بها واسكنها ولده، ثم انهم بنوا بها قصوراً ومدّنوها، وبنوا سوق جابروان وكبروه، وافرده السلطان لهم ، فصاروا يتولونه دون اذربيجان .

فاما سراة فان فيها من كندة جماعة ، أخبرني بعضهم انه من ولد من كان مع الأشعث بن قيس الكندي » (٨١)

وكان الحرشي ولي الموصل سنة ١٨٠ «فعسف اهلها عسفاً شديداً ، وطالبهم بخراج سنين مضت ، فجلا عن البلد كثير من أهله الى اذربيجان : ورحل اهل باسحاق

---

(٧٨) كذلك ٢١٨
(٧٩) تاريخ اليعقوبي ١٠٧/٣
(٨٠) تاريخ الموصل ٩٢
(٨١) فتوح البلدان ٣٢٩ – ٣٣٠ ويذكر الازدي أن برزة للأود (تاريخ الموصل ٣٨٣) .

من بني الحارث بن كعب الى اذربيجان، وخربت وكانت مدينة ؛ واهل القادسية من رستاق الخازر، واهل قرى غير هذه، وأخرب سطر نينه ونرستاباد وهاعله وباتلّي وغيرها من القرى، فلم تعمر الى هــذه الغاية، ورحل اهلها وبادوا» [٨٢] . وكانت آذربيجان، أو أكثرها، في يد اليمانية [٨٣] .

وذكر الأزدي ما يشير الى القبائل اليمانية في آذربيجان، فقال ان المأمون أرسل زريق بن علي بن صدقة الازدي لحرب بابك « فلما ورد على زريق عهده جمع خيله ورجله، وكتب الى عشائره بالموصل واعمالها يستنجدهم، فوافاه منهم خلق كثير، واجتمع له أمره، فرحل حتى توسط آذربيجان وجمع إليه من بها من عشائره وأصحاب الجموع، فبلغ عدة من اجتمع اليه خمسين الف فارس وراجل .

وكان من أصحاب الجموع والوجوه في خراسان محمد بن حميد الهمداني، وقد نصح زريقاً أن يقيم في الشتاء « بأذربيجان بالقرب من منزله وضياعــه بين أظهر عشائره، فلم يقبل رأيه ورحل فأقام ببردعة » [٨٤] .

ثم ثار زريق على المــأمون، فوجه إليــه الخليفة محمد بن حميد « ولما قــدم محمد بن حميد لحرب زريق اجتمع اليه محمد بن السيّد، وتليد، وطمثان، وهمدان، وطي، وبنو الحارث بن كعب، فصار معه منهم خلق كثير [٨٥].

ثم ان محمد بن حميد « وافاه محمد بن ايوب مولى آل المهلب عن محمد بن يوسف بن عبدالرحمن الطائي، وستة وعشرون رجلاً، كل يملك بلداً وجبلاً وناحية ورستاقاً، وكلٌ أصحاب جمعٍ وعزٍ ورياسة » وطلب منه المأمون أن يسير من اجتمع

---

(٨٢) تاريخ الموصل ٢٨٧
(٨٣) تاريخ الموصل ٣٨٤
(٨٤) كذلك ٣٥٦
(٨٥) كذلك ٣٧٩

من أصحاب الجموع بأذربيجان اليه ، فسيرهم وكان فيهم علي بن مرّ الطائي وبنو حيّان ونظراؤهم من اليمانية » (٨٦) .

ثم حمل محمد بن حميد الميرة الى بلد الهمدانيين ليعدها هناك لمحاربة بابك، وفرض على أهل كل ناحية من أهل اذربيجان من اليمانية وغيرهم رجالاً يخفرون عسكره ويحاربون معه (٨٧) .

ويلاحظ انه وضع في القلب من جيشه محمد بن يوسف بن عبدالرحمن الطائي وهو المعروف بابي سعيد المطوعي ، وضم اليه ربيعة . ووضع على الميمنة الصفدى ابن أصرم، وضم اليه اليمانية ، ووضع على الميسرة العباس بن عبدالجبار اليقطيني وضم إليه رجالاً من همـــدان والدينور ، وكان عدد الميسرة فيما يقال ستة آلاف ووضع على الساقة أخاه أبا نصر بن حميد(٨٨) .

(٥) استيطان العرب في الهضبة الإيرانية

لقد ذكرنا أن إنهيار المقاومة الساسانية بعدمعركة نهاوند فتح الهضبة الإيرانية أمام الجيوش العربية ، وكانت للري أهمية خاصة من حيث كونها أحد الثغور الرئيسة في شمالي الهضبة الايرانية. ويلاحظ أن التقدم العربي وقف عندها ، وظلت جرجان خارج الدولة الاسلامية الى خلافة يزيد بن عبدالملك الذي أرسل قوة فتحت جرجان وضمتها الى الدولة الاسلامية ، وبذلك أصبح الطريق الرئيس الى خراسان يسير من الري الى جرجان (٨٩) .

وبالنظر لأهمية الري وموقعها العسكري فقد استوطنها العرب ، وكان لها ديوان خاص ، فيذكر البلاذري أن الخليفة عثمان كتب الى سعيد بن العاص والى الكوفة «ان

(٨٦) كذلك ٣٨٣- ٤

(٨٧) كذلك ٣٨٥

(٨٨) كذلك ٣٨٧

(٨٩) الطبري ١٣٢٧/٢

يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطـــاً ويحوّل ديوانه الى الري ، ففعل[٨٩أ] » وفي سنة ٧٧ هـ أمر الحجاج بضرب البعث على ثلاثة ارباع الناس والسير لقتال الخوارج فكان عدد من ضرب عليه البعث من اهل الري ثلاثة آلاف رجل [٩٠] اي ان عدد اهل العطاء من العرب فيها اربعة آلاف رجل .

وقد وصف اليعقوبي أهل الري بأنهم « أخلاط من العجم وعربها قليل » [٩١] .

ويذكر البــلاذري « وبالري أهل بيت يقال لهم بنو الحريش نزلوا بعد بناء المدينة »[٩٢] .

وفي زمن خلافة عثمــان ولي الكوفة سعيد بن العاص فاهتم بأمر الديلم « ومَصّر قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم » [٩٣] وقزوين تقع في الطرف الجنوبي الغربي من بحر قزوين الذي كان منذ العصر الساساني مسلكاً لشعوب تهدد الدولة . وكانت منطقتها جبلية وعرة ، وفيها غابات كثيفة ويسكنها الديلم ، وهم مقاتلة أشداء لم يتعودوا الخضوع للنظام ، وكان المسلمون قد غزوها في خلافة عمر بقيادة البراء بن عازب « فصالحه أهلها ، فرتب البراء معهم خمس مائة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الاسدي ، وأقطعهم أرضاً لا حَقّ فيها لأحد »[٩٤] وينقل إبن الفقيه أن سعيد بن العاص غزا أهل حصن قزوين فطلبوا الصلح وأسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضوهم عشرية كما اشترطوا ، فرتب البراء من عازب طليحة بن خويلــد الأسدي مع خمسمائة فارس على دستبى وقزوين فتناسلوا هناك ، فأولادهم واولاد اولادهم الى اليوم فيها توارثوا الضياع ، وكانت قبالة من السلطان في أيديهم الخمسين

(٨٩أ) أنساب الأشراف ٥ / ٤٢ .
(٩٠) الطبري ٢/٩٩٦
(٩١) البلدان ٢٦٩
(٩٢) فتوح البلدان ٣١٩
(٩٣) كذلك ٣٢٥
(٩٤) كذلك ٣٢١

سنة والأقل والأكثر اذ كانت أرضين وضياعاً لاحقّ لأحد فيها ، وهم عمّروها وأجروا أنهارها ، فسّموا تناءها متقبلين لانهم تقبلوا ضياعاتهم من السلطان[٩٥] ولما ولى الامام علي الخلافة وأراد مقاتلة معاوية ، كره فريق من أهل الكوفة مقاتلة معاوية ، فوجههم علي الى الديلم لمقاتلهم فكانوا بين اربعة آلاف وخمسة آلاف[٩٦] وكان معظمهم من أصحاب الربيع بين هيثم وهم من أصحاب ابن مسعود[٩٧] وممن أرسلهم الإمام علي الى الديلم بنو باهلة ، فيذكر نصر بن مزاحم « دعا علي باهلة فقال يا معشر باهلة اشهد الله انكم تبغضوني وابغضكم فخذوا عطاءكم واخرجوا الى الديلم ، وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه الى صفين »[٩٨] .

لم يقتصر سكنى العرب على الثغور الثلاثة الآنفة الذكر التي مصرها العرب وأوطنوها مقاتلة يأخذون العطاء ، وإنما امتد سكناهم الى عدد غير قليل من المدن الأخرى . وقد ذكر اليعقوبي في جغرافيته عدداً من المدن في الهضبة الايرانية وصف أهل كل منها بانهم « أخلاط من العرب والعجم » وهذه المدن التي ذكرها هي السيروان ، والصيمرة ، وحلوان ، والدينور ، ونهاوند ، بالإضافة الى قزوين والري .

لم يذكر اليعقوبي عدد العرب في كل من هذه المدن أو زمن هجرته ودوافع استقراره فيها ؛ ولعل بعضهم كانوا مقاتلة أقاموا كحاميات عسكرية ، غير أن كثيراً منهم استقروا للتجارة وممارسة اعمالها ؛ والمؤمل أن تحتوى كتب تواريخ المدن والاقاليم معلومات عن العرب الذين استوطنوها . غير انه من سوء الحظ لم يبق من هذه الكتب الا بعض تاريخ قم ، وكتابان في تاريخ إصبهان ، وكتاب في تاريخ جرجان ، وبعض كتاب في تاريخ نيسابور ، وكتاب في تاريخ بخارى ، وآخر في تاريخ سمرقند . وفي الكتب الثلاثة الاولى مادة نستطيع أن نكون منها صورة واضحة ، وإن لم تكن كاملة ، عن سكنى العرب المدن التي بحثتها هذه الكتب

(٩٥) البلدان ٢٨ وانظر أيضاً : التدوين في أخبار قزوين ١١ (مخطوطة الاسكندرية)
(٩٦) فتوح البلدان ٣٢١) .
(٩٧) وقعة صفين ٣٢ وأنظر أيضاً : فتوح البلدان ٣٢١ .
(٩٨) وقعة صفين ١٣٠

فأما اصفهان فهي من المدن الكبيرة الغنية القريبة من العراق ، وقد استوطنها عدد من العرب ، ثم جاءتها هجرات تالية لا نعلم زمنها إلا ما ذكره ابن الكلبي وابو اليقظان من ان العنبريين استوطنوها في خلافة مروان عندما وليها الهذيل بن قيس العنبري (٩٩)

وصف اليعقوبي إصبهان بقوله « وأهلها أخلاط من الناس ، وعربها قليل وأكثر أهلها عجم من أشراف الدهاقين ، وبها قوم من العرب انتقلوا اليها من الكوفة والبصرة ثقيف وتميم وبني خُصَفَة وخزاعة وبني حنيفة ومن بني عبدالقيس وغيرهم (١٠٠)

ذكر أبو نعيم في كتابه « أخبار إصفهان » قبائل عدد ممن ترجم لهم ومن سكن اصفهان ، ومعظمها قبائل حجازية الأصل ، وكلهم ممن لهم خطط في الكوفة مما يدل على أنهم من أهل الكوفة ، وهذا يظهر العلاقة الوثيقة بين إصفهان والكوفة .

لقد ذكر أربعة وخمسين من أهل المدينة دون أن يحدد عشائرهم ؛ وحدّد ٨ من الأنصار و ٣ من عبد الأشهل ، كما ذكر عدداً من أهل مكة : ١٥ من قريش و ٥ من بني أمية و ٥ من زهرة ، و ١١ من تيم وواحداً من كل من سهم ومخزوم ونفيل وسامة .

وذكر أيضاً ٢٩ من ثقيف ، و ٦ من خزاعة ، و ٣ من كنانة ، و ٣ من سليم و ٢ من أسلم و ٢ من هذيل ، و ١ من مزينة .

وذكر ١١ من أسد ، و٧٥ من عقيل ، و ٥ من كل من هلال ، وباهلة و ٣ من بجيلة و ٢ من فزارة وواحداً من كل من نمير وفهم .

أما تميم وعشائرها فقد ذكر ١٢ من تميم دون تحديد عشائرها و ٢٥ من ضَبّة و ١٢ من العنبر و ٧ من حنظلة و ٦ من بني سعد بن زيد مناة ، و ٣ من البراجم و ٢ من مجاشع ، وواحداً من كل من نهشل ورياح والحبطات .

---

(٩٩) فتوح البلدان ٣٠٩

(١٠٠) البلدان ٢٧٤

ولم يذكر أحداً منسوباً الى بكر ، ولكنه ذكر ٨ من شيبان و ٤ من ذهل و ٣ من حنيفة و ٢ من كلٍ من عجل وسدوس و ١ من كلٍ من زِمّان وقيس بن ثعلبة ، كما ذكر ٧ من عبدالقيس .

وذكر ٦ من الأزد و ١٨ من الأشقر وواحداً من كل من العتيك وفرقد . أما القبائل اليمانية فذكر ٨ من همدان و ٣ من كندة و ٣ من النخع و ٢ من حضرموت وواحداً من كل من جعفى وحمير وحضرموت ولخم ومذحج .

وذكر في كتابه عدداً من المعالم الخططية في إصفهان منسوبة الى العرب ، ومنها أربعة مساجد منسوبة الى أفراد أسماؤهم عربية ولكن لم يذكر نسبهم أو عشائرهم وهم حفص ، وأيوب بن زياد ، وعمرو بن راشد ، وعبدالله بن كثير . كما ذكر سكة الجارود ، وخطة أُسَيد بن عبدالله الخزاعي

أما قم فهي من أهم المدن التي استوطنها العرب ؛ وقد ذكر اليعقوبي أن أهلها الغالبين عليها قوم من مذحج ثم من الأشعريين ، وبها عجم قدم ، وقوم من الموالي يذكرون أنهم موالي لعبدالله بن العباس بن عبدالمطلب»(١٠٠أ) وقد خصص الحسن بن محمد القمي في كتابه « تاريخ قم » أربعة فصول لمجيء العرب من الكوفة وسكناهم قم في زمن الحجاج وأخبار الاشعريين وأهل اليمن وأخبار العرب المتوطنين بقم عدا الفصول التي خصصها للحوادث التي مرت بقم غير انه من سوء الحظ لم يبق من الكتاب الا الترجمة الفارسية للابواب الخمسة الأولى من الكتاب ، اما الابواب الباقية من العشرين التي يتكون منها الكتاب فمفقودة حتى اليوم ؛ ويدل عنوان الباب السابع على احتوائه على مادة قيمة في موضوع بحثنا ، غير أنه من الابواب المفقودة ؛ وفي الابواب الاولى الباقية في ترجمتها الفارسية ما يؤيد قول اليعقوبي في كثرة الاشعريين في قم .

ويذكر اليعقوبي أن « رستاقي سردقاسان وجرمقاسان فيهما أشراف من الدهاقين ، وقوم من العرب من أهل اليمن من همدان ، وهما الحد بين عمل أصبهان وقم .

---

(١٠٠) ب البلدان ٢٧٤

ورستاق أردستان . . ورستاق التيمري ، وهما رستاقان يسكنهما قوم من العرب من بني هلال وغيرهم من بطون قيس ، وهو الحد بين عمل أصبهان والكرج [١٠١] .

أما **جرجان** فقد غزاها المسلمون في خلافة عمر ، وعقدوا مع حاكمها مرزبان صول معاهدة ، غير أن المسلمين لم يثبتوا حكمهم فيها ، مما أدى الى أن ينقطع الطريق التجاري القديم المشهور الذي كان يصل بين أواسط آسيا والعراق ويمر بنيسابور وطوس والري .

فلما ولي سليمان بن عبدالملك أرسل سنة ٩٨ حملة بقيادة يزيد بن المهلب فتحت جرجان وضمتها إلى دولة الاسلام ، وكان معه جماعة من الأزد وقريش وغيرها .

يذكر السهمي أن يزيد بن المهلب بعد أن فتح جرجان « بنى سورها واختط بها مساجد نحواً من أربعين مسجداً . . . قبيلة كان معه مسجداً لنفسه ؛ وتلك المساجد معروفة بجرجان بعضها داخل قصبتها وبعضها في الربض» [١٠٢] ولا ريب في أن بناء المساجد يدل على أن العرب استوطنوها .

عقد السهمي فصلا بعنوان « ذكر تسمية خطط المساجد التي بنيت في أيام بني أمية» [١٠٣] ذكر فيها المساجد التالية : —

(١) مسجد بجيلة على رأس سكة الحجاج مقابل الدباغين، مربعة على بن زهير !

(٢) مسجد محارب في سكة البريد .

(٣) مسجد قريش في دار عبدالله بن عيسى .

(٤) مسجد حمراء ، وكان يعرف بمسجد إبن أبي رافع في سكة محرز ، وتعرف اليوم بسكة الخلنجيين .

(٥) مسجد بني أسد في سكة محرز ، وهو مسجد إسحاق الوزدولي .

(١٠١) البلدان ٢٧٥
(١٠٢) تاريخ جرجان ٩
(١٠٣) كذلك ١٦ – ١٧

(٦) مسجد العشيرة وكان يعرف بمسجد برجو براه العطار .

(٧) مسجد الموالى في سكة الموالي .

(٨) مسجد ختعم وكان يعرف بمسجد داود بن عبد ربه .

(٩) مسجد همدان في درب همدان ، ويعرف اليوم بدرب همدان .

(١٠) مسجد بني ضبة ، وكان سكن فيه عفان بن سيار قاضي جرجان .

(١١) مسجد الأزد ، وهو مسجد عبدك عبدالكريم الفقيه بباب خان عبدك يدعى اليوم بمسجد أبي الخطاب .

(١٢) مسجد بني عجل ، وهو المسجد الذي بباب الجديد الذي فيه القبر ، وشجرة الزيتون (!) .

(١٣) مسجد تيم بن ثعلبة على طرف من مربعة باب الجديد .

(١٤) مسجد بني قيس بن ثعلبة وكان يعرف بشجاع المحتسب في هذه السكة .

(١٥) مسجد الحضرميين في سكة الحضرميين ، وكان يعرف بخلاد بن محمد .

(١٦) مسجد بني سنان ، وهو مسجد أبي طيبة يعرف اليوم بمسجد عبدالواسع

(١٧) مسجد أفتاء العرب ، ويعرف اليوم بمسجد البصريين .

(١٨) مسجد بني ذهل وهو مسجد البزازين على باب خان ابن المستنير وسط السوق

(١٩) مسجد مراد ، وهو مسجد السراجين الذي جدد سنة ٣٣٩ .

(٢٠) مسجد نخلة في سكة اساكفة .

(٢١) . . . سكة سجن وتحته حوض (!) .

(٢٢) مسجد قضاعة في سكة المرزبان حيث . . . . حسان (!) .

(٢٣) مسجد بني تميم بباب اليهود يعرف ببحر السواق . . .

(٢٤) مسجد عبدالقيس في صف القبتين ، ويعرف بالقحطبيين .

(٢٥) مسجد زفر في مربعة جلاباذ .

وفيما عدا مسجدي زفر وسنان [104] المنسوبين الى أشخاص لم يذكر عشائرهما ، ومسجد نخلة ، وسكة سجن [105] ، اللذين لا نعرف الى أي العشائر انتسبا فان كافة العشائر التي ذكرت مساجدها في هذا النص من عشائر أهل الكوفة رغم أن بعضها كان من عشائر البصرة أيضاً ، وبعض هذه العشائر يمانية (خثعم ، همدان العشيرة (ربما سعد العشيرة) ، الأزد ، الحضرميين ، مراد ، وبعضها من ربيعة (عجل تيم بن ثعلبة ، قيس بن ثعلبة ، ذهل ، عبدالقيس) وبعضها من مضر (قريش ، محارب ، بجيلة ، أسد (والحمراء) ضَبّة ، تميم ، قضاعة .

ويلاحظ أن بعض هذه المساجد كان قرب السوق ، فمسجد بجيلة مقابل الدباغيين ، ومسجد الأزد بباب خان عبدك ، ومسجد بني ذهل هو مسجد البزازين على باب خان المستنير وسط السوق ، ومسجد مراد في السرّاجين ، ومسجد نخلة في سكة الأساكفة .

غير أن بعض هذه المساجد كانت عند أبواب المدينة ، أي في أطرافها ، كمسجدي بني عجل ، وبني تيم بن ثعلبة ، وهما في باب الجديد ، ومسجد بني تميم بباب اليهود . ويلاحظ أن باب اليهود كان قرب السوق ، وفيه محلة الحناطين [106] والغزالين والجزارين [107] .

وقد ذكر مسجد واحد قرب الدواوين ، هو مسجد محارب في سكة البريد .

وقد أصبح كثير من هذه المساجد تسمى بأسماء أشخاص ، مما يدل على تبدل أحوال السكن حولها ، أو الاهتمام بالأفراد ، والواقع أن السهمي ذكرا عدداً من المساجد الأخرى منسوبة الى أشخاص ولكن لم يذكر أن عشيرة سكنت بقربه .

وقد ذكر السهمي « سكة الأنصار ، وهي « وسط السوق » ، وذكر ممن ينزلها أبا

(١٠٤) كذلك ٢٥ ، ١٦
(١٠٥) كذلك ٢٠ ، ٢١
(١٠٦) كذلك ٤١١
(١٠٧) كذلك ٣٤

عمرو الأَنصاري (١٠٨) ولعل الأنصار كونوا عشيرة لها مسجد سقط ذكره من قائمة السهمي .

ومن البلاد التي سكنها العرب **الكَرُج** وهي « منازل عيسى بن إدريس بن معقل ابن شيخ بن عمير العجلي أبي دُلَف . . فنزلها العجليون ، فبنوا الحصون والقصور فقصورها تنسب إلى أبي دُلَف واخوته وأهل بيته . . وأهلها قوم من العجم إلاّ من كان من آل عيسى بن إدريس العجلي ومن انضوى إليهم من سائر العرب » (١٠٩)

ويقول البلاذري « وكان ادريس بن معقل العجلي تاجراً ، فقدم الجبل في عدة من أهله ، فنزلوا قرية من قرى همدان تدعى مس ، ثم انهم أثروا واتخذوا الضياع ثم أن عيسى بن إدريس نزل الكرج وغلب عليها وبنى حصنها وكان حصناً رثّاً » « واستطاع إبنه أبو دلف القاسم بن عيسى أن يحظى بمكانة عند الخليفة » فكبّر ذلك الحصن ومدّن الكرج ، فقيل كرج أبي دلف ، والكرج اليوم مصر من الأمصار » (١١٠)

ومن الأماكن التي سكنها العرب **ماسبذان** ، وكان كثير بن شهاب قد ولي تلك المنطقة في خلافة يزيد ، واتخذ إقطاعات بالجبل وبنى قصره المعروف بقصر كثير قرب الدينور ؛ ثم اتخذ زهرة بن الحارث ، وهو من نسل كثير ، بماسبذان ضياعاً .

وفي أواخر زمن بني أمية نزع خشرم بن مالك بن هبيرة الأسدي من الكوفة الى ماسبذان فنزلها (١١١) .

اما اقليم **فارس** ، وهو الواقع على الشواطئ الشرقية من الخليج العربي مقابل البحرين وعمان ، فان العرب وجهوا اليه حملة من البحرين في خلافة عمر بن الخطاب وكانت في قول ابي مخنف بقيادة عثمان بن أبي العاص الذي « قطع البحر الى فارس فنزل

(١٠٨) كذلك ١٣١
(١٠٩) اليعقوبي : البلدان ٢٧٣
(١١٠) فتوح البلدان ٣١٣
(١١١) كذلك ٣٠٨

توّج ففتحها وبنى بها المساجد، وجعلها داراً للمسلمين ، واسكنها عبدالقيس وغيرهم ، فكان يغير منها على أرّجان ، وهي متاخمة لها . . وقال غير أبي مخنف إن الحكم فتح توج وأنزلها المسلمين من عبدالقيس وغيرهم سنة ١٩هـ (١١٢) »

غير ان الجيوش العربية المتقدمة الى فارس من البحرين لم تنجز أعمالا مهمة فلما ولى عثمان الخلافة أودع لمقاتلة البصرة مهمة فتح اقليم فارس ، فتقدمت قواتهم البرية عن طريق الشرق ، واستطاعت أن تفتح الأقاليم الواقعة جنوبي الهضبة الايرانية ففتحت فارس وسجستان وكرمان .

ويذكر الاصطخري أن عروة بن أديّة الخارجي لما قُتِلَ انتقل أولاده آل حنظلة ابن تميم «من البحرين الى فارس .. فسكنوا إصطخر ونواحيها وملكوا الأموال الكثيرة والقرى النفيسة (١١٣) »

وقد قام محمد بن القاسم الثقفي والي فارس في زمن الحجاج ببناء شيراز حيث مَصّرها (١١٣أ) ، ولا بد أنه أسكنها العرب .

وبفسا قلعة تعرف بخرشة بن مسعود من بني تميم ، ثم من بني شقرة ، وكان مع ابن الأشعث ، فتحصن في القلعة ثم أومِنِ فمات بواسط ، له عقب بفسا(١١٣ب).

يذكر الطبري انه في أوائل الحكم الساساني ازداد سلطان العرب بفارس وإن « عبدالقيس أناخوا على ايرانشهر وسواحل اردشير خرّه واسياف فارس وغلبوا أهلها على مواشيها »(١١٣ج) غير أن سابور ذا الاكتاف جرّد حملة عليهم « واسكن بعض قبائل تغلب وعبدالقيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والأهواز (١١٣د) » .

(١١٢) كذلك ٣٨٥ وانظر ياقوت ١/٨٩٠

(١١٣) المسالك ١٤٢

(١١٣ أ) الاصطخرى

(١١٣ب) فتوح البلدان ٣٩٠

(١١٣ج) الطبري ١/٨٣٦

(١١٣ د) الطبري ١/٨٤٥

فاقليم فارس من الأقاليم التي استوطنها العرب منذ الأزمنة السابقة للاسلام وأكثر من انتقل اليها أهل عمان ؛ فممن استقر بها منهم آل عمارة أولاد الجلندي وهم « أقدم ملوك الإسلام بفارس ، وأمنعهم جانباً » (١١٤) ويقول الاصطخري إن آل عمارة « كانت لهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على سيف البحر بفارس متاخمة لحدود كرمان ، ولهم إلى يومنا هذا منعة وعدّة وبأس وعدد ، لا يستطيع السلطان أن يغيرهم ، وإليهم أرصاد البحر وعشور السفن » (١١٥) .

ولآل عمارة « سيف آل عمارة الذي يعرف بالجلندى » (١١٦) ولهم أيضاً حصن إبن عمارة « وهو حصن منيع على هذا البحر ، وليس بجميع بلاد فارس حصن أمنع منه » (١١٧) ؛ ولهم أيضاً قلعة ابن عمارة « وهي مرصد لآل عمارة في البحر يعشّرون منها المراكب ، وهي قلعة منيعة جداً لا يقدر أحد أن يرتقي اليها بنفسه إلاّ ان يرقى بها شيءٌ من البحر (١١٨) ، وهو يقع على مضيق هرموز ؛ ومن أملاكهم أيضاً قلعة هرمز ، وهي تقابل جزيرة كيش (١١٩) .

وممن سكن فارس من العرب آل الصفار ، وهم من بني الجلندى ، ومنازلهم بسيف الصفار على ساحل البحر العربي (١٢٠) ؛ وفي هذا السيف تقع أكثر حصون فارس (١٢١) وكان آل الصفار يسيطرون على رمّ الكاريان الذي كان يمتلكه في أوائل

---

(١١٤) الاصطخري : مسالك الممالك ١٤١ . وقد درس الدكتور عبدالرحمن عبدالكريم استيطان العرب بفارس في رسالته « عمان في العصور الاسلامية الأولى » وعليه اعتمدت في المعلومات التي أوردها هنا عن فارس .

(١١٥) كذلك ١٤٠

(١١٦) كذلك ١٠٥ – ٦

(١١٧) كذلك ٣٤ – ٥

(١١٨) كذلك ١٠٦ وانظر ياقوت ٧١١/٢ ، ٨٣٨/٣

(١١٩) ياقوت ٩٧٤/٤

(١٢٠) الإصطخري ١٤١ ، ياقوت ٢١٧/٣

(١٢١) الإصطخري ١٠٠

القرن الرابع أحمد بن الحسن ، ثم امتلكه من بعده ابنه حجربن أحمد (١٢٢) .

ومن الأزد الذين ذكر ابن دريد سكناهم بإقليم فارس بنو قيس بن ثوبان وهم من بني شِهْمِيل بن الأسد بن عمران ، ويقول « إن لهم عدداً بفارس (١٢٣) وكذلك آل الصفاق بن حجر بن بجر (١٢٤) ، وكانوا يقيمون في سيف بني الصفاق (١٢٥) .

وقد ازدادت هجرة أزدعمان الى الأقاليم الواقعة في شرقي الخليج بعد سنة ٢٨٠ ﻫ حين بعث المعتضد جيشاً للسيطرة على عمان ، فخاف أهلها وهاجر كثير منهم ؛ وكان ممن هاجر سليمان بن عبدالملك بن بلال السليمي الذي هاجر الى هرمز واستقر بها وكوّن إمارة ، وولى إبنه الإمارة من بعده ، فلما مات زالت الامارة فعاد بعض اصحابه الى عمان وبقي بعض (١٢٦) .

وفي خضم هذه الحوادث « هاجر أهل صحار باموالهم وأهليهم الى سيراف والبصرة وهرموز وغيرها من البلاد » (١٢٧) .

وممن سكن فارس منذ الأزمنة السابقة للاسلام آل أبي زهير ، وهم من بني سامة ابن لؤي ، وينسب اليهم سيف بني زهير (١٨٢) ، وقد وصفهم الاصطخري بانهم « ملوك ذلك السيف ولهم منعة وعدد » ، (١٢٩) وكان منهم جعفر بن ابي زهير الذي وفد على الخليفة هارون الرشيد فاعجب به . وكان المظفر بن جعفر في اوائل القرن الرابع «يملك عامة الدستقان، وله مملكة السيف من حدّ جنّابا الى حد نُجَيْرم»

---

(١٢٢) الإصطخري ٩٩ ، ١٤١ المقدسي ٤٤٧ ياقوت ٨٢١/٢

(١٢٣) الأشتقاق ٤٨٤ (طبعة عبدالسلام هارون)

(١٢٤) كذلك ٤٩٩

(١٢٥) ابن الفقيه : البلدان ١١

(١٢٦) كشف الغمة ٣٣٥ أ ؛ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ٢٣٠/١

(١٢٧) تحفة الأعيان ٢٢٠/١

(١٢٨) ياقوت ٢١٧/٣

(١٢٩) الإصطخري ١٤١ ، ١٠٥ وانظر أيضاً ياقوت ٢ ١٧/٣

وكان مسكنه على ساحل البحر بصفارة . وكان « سائر آل ابي زهير من حد نجيرم الى حد بني عمارة ، ومسكن آل ابي زهير كران » [١٣٠] .

اما **كرمان** فان سابور ذا الاكتاف أسكن بعض قبائل تغلب وعبدالقيس وبكر ابن وائل كرمان وتوج والاهواز [١٣٠أ]، و« اسكن من كان من بكر بن وائل كرمان، وهم الذين يدعون بكر ابان [١٣١ب] » .

كان سليمة بن مالك بن فهم قد سيطر على كرمان قبل الإسلام وأنشأ فيها إمارة ، ثم سقطت دولته [١٣١] ولكن اكثر بني سليمة ظلوا بعد سقوط دولتهم « بأرض كرمان ، ولهم بأس وشدة وعدد كثير ، وبعمان الأقل منهم » [١٣٢] .

ولما تقدم العرب لفتح كرمان « هرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ، ولحق بعضهم بمكران ، واتى بعضهم سجستان ، فأقطعت العرب منازلهم وأرضهم فعمروها وأدوا العشر فيها ، وأحتفروا القنى في مواضع منها . . وولى الحجاج الحكم بن نهيك الهجيمي كرمان بعد ان كان ولاّه فارس ، فبنى مسجد أرّجان ودار إمارتها » [١٣٣] .

وكانت تقيم بكرمان حامية عربية عددها «أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة والبصرة، [١٣٤] و « أهل كرمان يزعمون أنهم عرب » [١٣٥] .

وممن أُقطع أرضاً بكرمان يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، وقد حصل على إقطاعه من شريك بن الأعور عامل كرمان في زمن معاوية [١٣٦]

---

(١٣٠) ياقوت ٢١٧/٣

(١٣٠أ) الطبري ٨٤٥/١

(١٣٠ب) الطبري ٨٣٩/١

(١٣١) كشف الغمة ٢٦/٢ – ٢٨ تحفة الاعيان ٣٢ أ ، ٣٧ أ

(١٣٢) كشف الغمة ٢٨ تحفة الأعيان ٣٧

(١٣٣) فتوح البلدان ٣٩١

(١٣٤) الطبري ١٠٦٠/٢

(١٣٥) المقدسي ٤٧١

(١٣٦) كذلك ٣٩١

وقد استوطن بعض آل المهلب في مدينة جيرفت ، وهي من أهم مدن كرمان [١٣٧] ومن المـــدن التي استوطنها العرب بكرمان مدينة ماهان التي يسميها المقدسي « مدينة العرب » [١٣٨] .

اما الشيرجان فكان اول من نزلها من العرب محمد بن غزية ، ثم استقدم من أهله قوماً ، وسيطر عليها [١٣٩] .

اما مكران فقد فتحها سنان بن سلمة في خـــلافة معاوية وأسكنها العرب [١٤٠] وفتح أمير بن أحمر اليشكري قوهستان « وهي بلاد أبي بكر الى اليوم » [١٤١] .

(٦) استيطان العرب في خراسان

اما خراسان ، وهي الاقليم الواسع الواقع في الجهات الشمالية الشرقية من الهضبة الايرانية ، فقد اتمت فتحه مقاتلة البصرة بقيادة عبدالله بن عامر في زمن خلافة عثمان بن عفان ؛ وكان العرب ينفذون حملاتهم في الصيف ثم يعودون الى البصرة في الخريف « وكانوا اذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف لاعقبة ، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة (النزاع بين علي ومعاوية) [١٤٢] .

غير أن العرب شعروا بعجز هذه السياسة عن تثبيت سلطان العرب في هذا الاقليم البعيد عن القواعد الرئيسة في البصرة والكوفة ؛ وأدركوا ضرورة إنشاء قواعد ثابتة تقيم فيها القوات العربية بصورة دائمة ، لتهيمن على أقاليم المشرق ، وتدافع عن حدودها ، وتوسع رقعة الدولة في الشرق .

(١٣٧) ياقوت ٢/١٧٤ – ٥
(١٣٨) احسن التقاسيم ٤٦٢
(١٣٩) الروض المعطار ٣٥١
(١٤٠) جوامع السيرة ٣٤٩
(١٤١) فتوح البلدان ٤٠٢
(١٤٢) الطبري ١/٢٩٠٦ . لقد بحثت في مقالي « استيطان العرب في خراسان » الموضوع بتفصيل اوفى ، وقد اعتمدت على ذلك في كثير مما اورده هنا .

يروي البلاذري أن زياد بن أبي سفيان ولي البصرة سنة ٤٥ هـ « فولّى أمير ابن أحمر مرو ، وخليد بن عبدالله الحنفي أبرشهر ، وقيس بن الهيثم مرو الروذ والطالقان والفارياب ، ونافع بن خالد الطاحي من الأزد ، هراة وباد غيس وبوشنج وقادس من أنواران ؛ فكان أمير أول من أسكن العرب مرو » [١٤٣] ؛ إن تخصيص النص لسكن العرب في مرو قد يدل على أنها ، دون غيرها ، كانت أول مكان سكنه العرب ، ويدل السياق على أن هؤلاء المتوطنين أسكنوا مع عيالاتهم .

وفي سنة ٥١ هـ ولّى زياد « الربيع بن زياد الحارثي خراسان وحوّل معه من أهل المصرين زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم .. واسكنهم دون النهر » [١٤٤] . ويروي الطبري أن زياداً « بعث الربيـــع بن زياد الحارثي الى خراسان في خمسين ألفاً ، من أهل البصرة خمسة وعشرون ألفاً ، ومن الكوفة خمسة وعشرون ألفاً ، على أهل البصرة الربيع ، وعلى أهل الكوفة عبدالله بن أبي عقيل ، وعلى الجماعة الربيع بن زياد » [١٤٥] غير أن الأخبار المتأخرة عن تنظيم العرب في خراسان تظهر أن أهل الكوفة كانوا وحدة مستقلة لا تزيد على سدس العرب ، كما ان هذا التنظيم كان قائماً على أساس الأخماس المتبع في البصرة ، فضلاً عن أن خراسان ظلت أوثق صلة بالبصرة . وهذا يدل على عدم دقة الطبري في قوله إن نصف الناقلة كانت من أهل الكوفة .

ثم تتابعت هجرات العرب الى خراسان ، فلما وليها سعيد بن عثمان خرج معه أوس بن ثعلبة التيمي ، وطلحة بن عبدالله الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وربيعة ابن عسل اليربوعي، واخرج قوماً من بني تميم منهم مالك بن الريب المازني [١٤٦] . ولما ولى سلم بن زياد خراسان شخص معه « خلق كثير من خراسان البصرة واشرافهم ، فقدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية الى عبيدالله بن زياد بنخبة الفي رجـــل

---

(١٤٣) فتوح البلدان ٤٠٩ – ١٠
(١٤٤) فتوح ٤١٠
(١٤٥) الطبري ٨١/٢ البلاذري ٤١٠ .
(١٤٦) الطبري ١٧٨/٢

ينتخبهم ، وقال غيره بل نخبة ستة آلاف رجل ، فكان ينتخب الوجوه والفرسان ، ورغب قوم في الجهاد فطلبوا اليه أن يخرجهم » (١٤٧)

وبعد أن قضى أمية بن عبدالله والي خراسان على حركة بكير بن وشاح كتب الى عبدالملك « فضرب عبدالملك بعثاً إلى أمية بخراسان ، فتجاعل الناس ، فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعالته رجلاً من جَرم » (١٤٨)

وفي سنة ٩٥ هـ بعث الحجاج جيشاً من العراق الى خراسان ، فلما وصلوا قـام قتيبة « فغزا ، فلما كان بالشاش أو بكشماهن أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمه ذلك ، وقفل راجعاً الى مرو » (١٤٩)

وعندما ولي الجنيد خراسان « قدمها مع خمسمائة » (١٥٠)

ولما قتل سورة بن الحر «كتب الخليفة هشام بن عبدالملك الى الجنيـد ؛ قد وجهت اليك عشرين الفاً مدداً : عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ، ومن أهل الكوفـة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم ، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ، ومثلها ترسه ، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر الفاً »(١٥١).

إن النصوص التي أوردناهـا توضح الهجرات الواسعـة النطاق ، ولا بد أنه كانت بجانبها هجرات فردية أو محدودة العدد ، تجري باستمرار . ولا ريب في ان عدداً من هؤلاء المهاجرين كان يعود الى العراق او الجزيرة ، كما أنه كان يسقط في ميادين القتال عدد غير قليل ، غير ان المصادر لم تذكر عددهم .

لقد ذكر الرقم الإجمالي لعدد المقاتلة العرب في خراسان مرتين : **الاولى** في زمن الربيع بن زياد الحارثي (٥٤ هـ) عندما نقل خمسين ألفاً (١٥٢) ، والثانية عند مقتل

(١٤٧) الطبري ٢/٣٩٣ تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩٣
(١٤٨) الطبري ٢/١٠٢٩
(١٤٩) كذلك ٢/١٢٦٧
(١٤٠) كذلك ٢/١٥٢٨
(١٥١) كذلك ٢/١٥٦٥
(١٥٢) الطبري ٢/٨١ البلاذري .

قتيبة ابن مسلم (٩٦ هـ) حيث كان عددهم حوالي أربعين الفاً . واذا افترضنا أن عائلة كل مقاتل مكونة من خمسة ، فان عدد العرب يكون حوالى ربع مليون ولا ريب في أن هذا العدد لا يشمل من لم يكن مسجلاً في الديوان ، ممن كان عددهم قليلاً ، ولكن دورهم في الحياة الاقتصادية والفكرية كبيراً .

يذكر الطبري ان المقاتلة العرب كانت عند مقتل قتيبة كان فيها تسعة آلاف من أهل العالية (الحجاز) ، وسبعة آلاف من بكر ، وعشرة آلاف من تميم ، وأربعة آلاف من عبدالقيس ، وعشرة آلاف من الأزد ، وسبعة آلاف من أهل الكوفة ، بالاضافة الى سبعة آلاف من الموالي (١٥٣) . ويتبين من هذا ان المقاتلة في خراسان كانوا منظمين على الأخماس ، على غرار تنظيمهم في خراسان ، وأن أهل الكوفة كونوا وحدة قائمة بذاتها ، وكذلك الموالي .

وقد تردد ذكر الأخماس ورؤوسها ، فلما قتل سعيد الحرشي سبقرى قال الراجز :

اذا سعيد سار بالأخماس   في رهج يأخذ بالأنفاس
دارت على الترك أمرّ الكأس   وطارت الترك على الأحلاس
ولّوا فراراً عطل القياس (١٥٤)

ولما تقدم اسد بن عبدالله القسري الى غورين قال الشاعر

ندبت من كل خميس الفيــن   من كل لحاف عريض النصين (١٥٥)

وعندما سار نصر بن سيار الى الشاش لقتال كور صول « كان مع نصر أهل بخارى وسمرقند وأشروسنة ، وهم عشرون ألفاً، فنادى نصر في الأخماس ألاّ يخرجن أحد من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم» (١٥٦)

---

(١٥٣) كذلك ٢/١٢٩٠ – ٩١ فتوح البلدان ٤٢٣
(١٥٤) كذلك ٢/١٤٤٩
(١٥٥) كذلك ٢/١٤٩٣
(١٥٦) كذلك ٢/١٦٩٠

وقد رددت المصادر ذكر مقاتلة من أهل الشام في خراسان ؛ ويرجع أول ذكر لها الى زمن ولاية عبيدالله بن زياد خراسان في سنة ٥٣هـ حيث قدممعه أسلم بن زرعة الكلابي ، فخرج معه من أهل الشام الجعد بن قيس النميري [١٥٧] ؛ ولما ولي سَلْم بن زياد خراسان وجه الحارث بن معاوية الحارثي من الشام الى خراسان [١٥٨] ومع أن هاتين الحالتين فرديتان ، إلا أنهما قد تدلان على وجود حالات أخرى لم تذكرها المصادر .

وأول اشارة واضحة لوجود أهل الشام في خراسان ترجع الى زمن يزيد بن المهلب الذي « أدنى أهل الشام وقوماً من أهل خراسان » [١٥٩] ومنذ ذلك الزمن بدأ يتردد ذكر أهل الشام كوحدة مستقلة ؛ فلما حاصر الترك سَورة بن الحر وترددت المقاتلة في التقدم، قال الجنيد «لو لم أكن إلا في بني مُرّة أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت » [١٦٠] ؛ ولما هاجم الحارث بن سريج مرو ، قاومـه عاصم ، ومع عاصم رجل من بني عبس في خمسمائة من أهل الشام ، وابراهيم بن عاصم العقيلي في مثل ذلك ، ثم ارسلت اليمانية رجلاً من أهل الشام اسمه ابو داؤود في خمسمائة [١٦١] ثم ارسل اسد بن عبدالله قـوة مـع عبدالرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفـة واهل الشام في طلب الحارث ، ولكن هذا انتصر عليهم وقتل من أهل الشام عدداً من فرسانهم [١٦٢] .

ويبدو أن أهل الشام احتفظوا بتنظيماتهم الداخلية على غرار ما كان في الشام، فيذكر الطبري أنه لما اشتبك أسد بن عبدالله القسري مع الترك « كان على التعبية : القاسم بن بخيت المراغي ، فجعل الأزد وبني تميم والجوزجان وشاكريته ميمنة ،

(١٥٧) كذلك ١٦٨/٢
(١٥٨) كذلك ٣٩٢/٢
(١٥٩) كذلك ١٣١٣/٢
(١٦٠) كذلك ١٥٣٣/٢
(١٦١) كذلك ١٥٧٩/٢، ١٥٨٠
(١٦٢) كذلك ١٥٨٣/٢ ، ١٥٨٥

وأضاف اليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي ، وأهل قنسرين عليهم مغراء بن أحمر وجعل ربيعة ميسرة عليهم يحيى بن حضين ، وضم اليهم أهـــل حمص وعليهم جعفر بن حنظلة البهراني وأهل الأردن وعليهم سليمان بن عمرو المقري من حمير ، وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجيلي ، وأضاف اليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبي ، وأضاف اليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد»(١٦٣)

كانت مرو هي المركز الرئيسي للعرب فهي «بيضة خراسان» (١٦٤) وكان عمال خراسان يغزون فاذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم الى مرو الشاهجان »(١٦٥)

وقد ذكرت المصادر بعض المعالم الخططية البارزة في مرو ، ومنها عدد من قصور ومساجد منســوبة لرجال من العرب ، ولكنها لم تذكر ما يشير الى اية قبيلــة عربية استوطنت داخل مرو ، ولكنها ذكرت قرى قرب مرو سكنها بعض العرب ، فكانت بونيه ، وهي على فرسخين من مرو ، قرية لطي (١٦٦) كما ذكرت قرية بأعلى مرو لكندة ، واخرى لبني العنبر (١٦٧) ولخزاعة قرية سفيذنج وبالين(١٦٨) وفنين(١٧٩). واتخــذ العرب مركزا لهم بالبروقان ، قرب بلخ ، ثم نقل اسد القسري مركزهم الى بلخ سنة ١٠٧ هـ (١٧٠) وكان عددهم ٢٥٠٠ ومعظمهم من اهل الشام (١٧١) ويذكر اليعقوبي ان بلخ بها قوم من العرب من الأزد وتميم وغيرهم » (١٧٢)

(١٦٣) كذلك ٢/١٦٠٩ وانظر أيضاً ١٦١٢
(١٦٤) كذلك ٢/١٥٦٨
(١٦٥) كذلك ٢/٣٩٤
(١٦٦) كذلك ٢/١٠٢٦
(١٦٧) كذلك ٢/١٥٧٩
(١٦٨) كذلك ٢/١٩٥٢
(١٦٩) كذلك ٢/١٩٦٤
(١٧٠) كذلك ٢/١٤٩٠
(١٧١) كذلك ٢/١٥٩٠
(١٧٢) البلدان ٢٧٩

ويلاحظ ان المصادر التالية تذكر عـــددا من المدن قرب بلخ كان يسكنها العرب فيذكر ياقوت «وخلم على عشرة فراسخ من بلخ وهي بلاد العرب نزلها الاسد وبنو تميم وقيس ايام الفتـــوح [١٧٣] وان سمنجان (وهي عــلى خمسة ايام من خلم) « بها طائفة من عرب تميم » [١٧٤] وفي صحاري الجوزجان » عشرين الف عربي اغنياء يملكون كثيرا من الغنم والجمال » [١٧٥] .

ومن مراكز العرب في خراسان هراة التي كانت مركزا اداريا تتبعه عدة مــدن واشارت المصادر الى الجنــد العربي الذي كان يسكنها في زمن ولاية الجنيــد [١٧٦] ولعل سكناهم ترجع الى زمن أقدم . وجدير بنا ان نذكر ان اليعقوبي يذكر ان هراة « بها قوم من العرب » [١٧٧] ويذكر مؤلف حدود العالم ان هراة « يسكنها كثير من العرب » [١٧٨] .

ومن المدن التي استوطنها العرب نيسابور ، فيذكر اليعقوبي انها « فيها اخلاط من العرب والعجم [١٧٩] ويقول عن بست ، وهي احدى ارباع نيسابور «أهلها من العجم ، وأكثرهم يقولون إنهم ناقلة من اليمن من حمير » [١٨٠] .

ولما أتم العرب فتح بلاد ما وراء النهر في زمن قتيبة أسكنوا في عدد من المدن أهمها سمرقند ، وكان عدد هذه القوة في زمن قتيبة أربعة آلاف [١٨١] غير أن هـــذا

---

(١٧٣) ياقوت ٤٦٥/١
(١٧٤) ياقوت ١٤٢/٣
(١٧٥) حدود العالم ١٠٨
(١٧٦) الطبري ١٩٤٨/٢
(١٧٧) البلدان ٢٨٥
(١٧٨) حدود العالم ١٠١
(١٧٩) البلدان ٢٨٠
(١٨٠) البلدان ٢٨١
(١٨١) الطبري ١٢٤٥/٢

العدد لم يبق ثابتاً ، ويقول الإصطخري إنه كان في سمرقند عدة « لقوم من بكر ابن وائل يعرفون بالسباعية [١٨٢] ويقول المقدسي في كلامه عن رساتيق بوز حاجز وباركث وكبو نحكث وذار « وكثير من قرى هــذه الرساتيق لقوم من بكــر ابن وائل يعرفون بالسباعية كانت لهم بسمرقند ولايات وكانت لهم بها دور ضيافات واخلاق حسنة [١٨٣] .

ولا بد ان بخارى كان يسكنها عدد من العرب ، إذ ان من ابوابها باب بني اسد وباب بني سعد [١٨٤] .

ان الغالبية المطلقة للعرب الذين بحثنا عنهم اعلاه هم من المقاتلة المدونين فــي الدواوين ، وهم بعض ؛ وليس كل ، من انتقل واستوطن اقاليم الدولة الاسلامية ، ولا بد ان هجرات فردية او جماعية اخرى جرت الى هذه المناطق وغيرها ، قوامها « مدنيون » أي اناس لم يكونوا من المقاتلة ، حيث نجد في اخبار العصور التالية عددا من المدن والاقاليم التي استوطنها العرب خارج المراكز التي ذكرناها ، وقد قام هؤلاء المهاجرون بدورهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كما أسهموا بدور كبير في نشر الاسلام واللغة العربية وفي إزدهار الحركة الفكرية .

* * *

(١٨٢) الاصطخري ٣٠٧
(١٨٣) احد التقاسيم ٤٦٢
(١٨٤) الاصطخري ٣٠٦

(٧) استيطان العرب في بلاد الشام

ان اقليم الشام يشبه العراق من حيث اتصالهما بشبه جزيرة العرب جغرافياً وبشرياً ، حيث أن أحد أطراف كل منهما مفتوح للصحراء ، ولا يوجد حاجز جغرافي يعيق الاتصال بينهما وبين شبه جزيرة العرب ؛ وكانت هذه الجبهة الواسعة المفتوحة مع جزيرة العرب عاملاً في أن يكون لسكان هذين الاقليمين نفس الأسس العرقية واللغوية والثقافية التي لسكان الجزيرة ؛ غير أن ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة في الجهات البعيدة عن اطراف الصحراء أدى الى نمو المدن وتطور الحياة الحضرية فيها ، اما المناطق التي في اطراف الصحراء فقد كانت منذ أقدم الأزمنة تقيم فيها قبائل عربية لها نظم بدوية لا تختلف عن نظم وحياة أهل شبه جزيرة العرب . وقد قامت في الأطراف الجنوبية الشرقية من بلاد الشام امارة الغساسنة ، ودانت لها القبائل العربية في بوادي الشام ، وامتد نفوذها في أوج توسع سلطانها الى أطراف جبلي طي ، غير أن هذه الدولة زال سلطانها قبيل تقدم الجيوش الاسلامية الى بلاد الشام تاركة القبائل العربية مقيمة في

ديارها القديمة[1] فلما فتح المسلمون بلاد الشام اصبحت هذه القبائل ضمن الدولة الجديدة ؛ وأهم هذه القبائل المقيمة في أطراف بلاد الشام عند تقدم الاسلام هي لخم وجذام في فلسطين والاردن ، وغسان في أطراف الجابية ، وكلب في بادية الشام ، وتنوخ في أطراف حمص ، وتغلب في أعالي الفرات[2].

وعلى طول الأطراف الغربية من بلاد الشام يمتد البحر الأبيض المتوسط الذي يكون حاجزاً وخط حماية لها ، كما أنه يعرضها لهجمات غير محددة من سفن الدول البحرية : وكان هذا البحر عاملاً في اشتغال كثيرمن سكان سواحله بالملاحة وفي ظهور عدد غير قليل من الموانئ التي اشتغل أهلها بالتجارة البحرية وانتشروا منذ أزمنة قديمة في كافة البلاد الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط .

وقد أصبحت بلاد الشام منذ أن فتحها الاسكندر المكدوني فيأواسط القرن الثالث قبل الميلاد ، تحت حكم الاغريق ثم الرومان فالبيزنطيين . وتميز النظام الاداري التي وضعته هذه الدول بالعناية بالمدن وإفساح المجال لكل منها بإدارة نفسها ، وقد عمل البيزنطيون منذ زمن جستنيان على تقليص امتيازات المدن على حساب توسيع سلطة الامبراطور المركزية [3] ، الا أن التقسيمات الادارية التي تتميز بما للمدن من مكانة فيها ظلت قائمة ، فكانت بلاد الشام تتكون من اربعة أجناد هي دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والاردن ؛ وكان في كل جند بعض المدن المتميزة . وقد ابقى العرب هذه الاجناد الاربعة ، ثم أضافوا اليها في زمن يزيد بن معاوية جنداً خامساً هو قنسرين ، ثم كوّر العباسيون العواصم

(١) انظر عنهم : امراء غسان لثيودور نولده كه ؛ ترجمة قسطنطين زريق .

(٢) انظرفي ذلك العرب فيسوريا قبل الاسلام للدوسو

(3) The Greek City. A. H. M. Jones

وجعلوها وحدة إدارية خاصة . فبلاد الشام لم تكن عندما دخلتها الجيوش العربية مركز الامبراطور الحاكم ، وإنما كانت إقليماً ذا وحدة ظاهرية يضم أربعة اجناد متمايزة ، وهي بذلك تختلف عن العراق الذي كانت فيه عاصمة الساسانيين ، وكانت فيه تقسيمات ادارية غرضها تيسير جمع الضرائب ولم يكن للمدن فيه كيان قانوني متميز .

وقد انتشرت المسيحية في بلاد الشام ، واعتنقها الحكام البيزنطيون وأهالي الشام ، غير أن اعتناق هؤلاء الأهالي المذهب اليعقوبي الذي لم يعتنقه الحكام ، أدى الى أن لا يكون الدين المسيحي رابطاً بين السكان والحكام ؛ وكان هذا مما زاد في تعاون أهل الشام مع الجيوش العربية .

كانت بين بلاد الشام والحجاز صلات وثيقة عند ظهور الاسلام ؛ اذ كانت تذهب اليها قوافل قريش التجارية في الصيف[٤] ، واليها ذهب الرسول (ص) في السفرتين الوحيدتين التي ذكرتهما له كتب السيرة الى خارج الحجاز[٥] ، ولما هاجر الرسول الى المدينة أخذ المسلمون ينمون علاقاتهم التجارية مع بلاد الشام . وبعد أن عقد الرسول صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة وأمن خطر قريش ، اهتم بتأمين سلطة الاسلام على شمالي الحجاز ، وهي المناطق التي تمتد فيها الطرق الى بلاد الشام ، فقاد بنفسه حملة أخضعت يهود خيبر ، وارسل عدة حملات لاخضاع المناطق الشمالية القريبة من بلاد الشام .

ولما توفي الرسول (ص) وولي ابو بكر الخلافة وقضى على حركات الردة ، وجّه الجيوش المتيسرة لديه الى بلاد الشام ، فتقدمت هذه الجيوش الى بلاد الشام ، وتوغلت في عدة جهات . ثم تجمعت وقاتلت الروم وانتصرت عليهم في معركة اليرموك الحاسمة ؛ وتابعت انتصارها بالتقدم الى بلاد الشام ؛ وانشطرت الى رتلين :

(٤) انظر كتابنا « محاضرات في تاريخ العرب » ١/٩٧

(٥) انظر ابن هشام ١/١٩٤ ، ٢٠٣

اتجه احدهما الى فلسطين فضمّها الى دولة الاسلام وتقدم بعضه الى مصر ففتحها : واتجه الرتل الثاني ، وهو الأكبر ، نحو الشمال فسيطر على مدن بلاد الشام حتى وصل الى اطراف جبال طوروس ، وبذلك ضم هذه البلاد الى دولة الاسلام .

كانت لبلاد الشام أحوال خاصة حملت العرب على اتخاذ تنظيمات خاصة تلائم اوضاعها . وذلك أن الانتصارات الساحقة التي أحرزها العرب على الروم لم تؤد الى القضاء على الدولة البيزنطية التي ظلت جيوشها محتفظة بجبال طوروس في شمال بلاد الشام ،وقد أمّن العرب باستيلائهم على الجزيرة وأرمينية الحدود الشرقية لبلاد الشام ، غير أن الاطراف الغربية والشمالية ظلت معرضة الى تهديدات الروم . ذلك أن أسطول البيزنطيين كان يسيطر في البحر الأبيض المتوسط فيهدد شواطئها الطويلة والمدن الكثيرة الواقعة على السهول الساحلية الضيقة التي تفصلها عن المناطق الداخلية سلاسل جبال لبنان الوعرة الممتدة من الشمالي الى الجنوب . ثم أن الروم بصمودهم في جبال طوروس المطلة على شمالي بلاد الشام ، أوقفوا تقدم العرب الى آسيا الصغرى ، فبقيت لهم العاصمة البيزنطية وأراض وأقاليم واسعة تستطيع الاعتماد عليها في صد العرب وتهديدهم . ثم انه رغم أن عدداً كبيراً من الروم وأنصارهم انسحبوا بعد الفتح الاسلامي من بلاد الشام وان معظم اهل الشام تقبلوا الحكم العربي ورحبوا به ، إلا أنه بقي أيضاً في بلاد الشام بعض من يميل الى الروم ، مما كان يسبب بعض القلق في ادارتها . ولا يخفى أن بلاد الشام رغم ان مساحتها لم تكن تزيد على مساحة العراق ، فانها كانت منذ عهد الروم مقسمة الى عدة ولايات لكل منها مركز وامتيازات ادارية .

كل هذه العوامل حملت العرب على توزيع القوات الاسلامية في عدة أماكن تقيم في كل منها دائماً وتقوم بواجباتها العسكرية باستمرار .

إن التنظيمات التي اتخذها العرب في توزيع قواتهم على إثر فتح بلاد الشام مباشرة اقتضتها الظروف التي رافقت الفتح ، غير أنه بعد استقرار السلطة العربية وانقطاع البيزنطيين في استرجاع الأقاليم المفتوحة ، كان لا بد من إعادة النظر في التنظيمات لتتلاءم مع الأوضاع المستقرة الجديدة وما تقتضيه .

ويلاحظ أنه حتى بعد استقرار السيادة العربية فإن الروم ظلوا قوةً معادية ومصدر خطر مهدّد ، خاصة وأنهم يسيطرون على جبال طوروس المطلة على بلاد الشام ، كما أن اسطولهم ظل قادراً على التسلل وتهديد المدن والموانـــيء الساحلية ، كما ظل يقيم في بلاد الشام عدد ممن يميل الى البيزنطيين فيعملون على خلق الفتن المقلقة للدولة العربية . وكل هذا تطلب أن تتوزع القوات العربية في أماكن متعددة ، وبشكل يلائم الأوضاع الجديدة التي تختلف الى حدٍّ ما عن الأوضاع التي رافقت الفتح . وأول ما تستلزمه هذه الأوضاع الجديدة هو ايجاد مراكز رئيسة للادارة واستقرار المقاتلة وعيالاتهم ، وكذلك توزيع قوات صغيرة نسبياً تقيم بصورة دائمة في الأماكن ذات الأهمية العسكرية ، وهذا يتطلب عدم الاقتصار على المراكز الرئيسة الكبيرة المحدودة العدد ، وانما ايضاً إنشاء مراكز متعددة صغيرة وخاصة في المناطق الشمالية والغربية .

ثم إن بلاد الشام أمطارها غزيرة وكثيرة ، وهذا يقتضي أن يقيم العرب في مساكن محكمة البناء ، بخلاف الوضع في العراق حيث الأمطار قليلة وبالامكان السكنى في أخصاص القصب أو في بيوت من الطين ، وكان هذا يتطلب إعداد المساكن الملائمة لذلك المناخ . وأيسر الوسائل لتحقيق ذلك هو أن يقيموا مع السكان في المدن المبنية قبل الفتح .

تذكر المصادر عدداً من المدن في بلاد الشام صالح أهلها العرب على أنصاف منازلهم ، فيذكر البلاذري عن الهيثم بن عدي أن شرحبيل بن حسنة

افتتح الأُردن عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم[٦] ويقول الطبري أن طبرية وبيسان صالحوا على صلح دمشق « ان يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن »[٧]، ويروي البلاذري عن الهيثم بن عدي « أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم »[٨] ويذكر « وزعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم »[٩] ، ولعل هذه الرواية الأخيرة مصدرها الهيثم بن عدي أيضاً . ويلاحظ أن البلاذري يميل الى عدم تأييد هذه الرواية ، ويبدو أنها تناقض الاتجاهات العامة لمواقف العرب وسياستهم .

وفي الرد على قول الهيثم بن عدي ينقل البلاذري قولاً للواقدي « قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أرَ فيه أنصاف المنازل والكنائس وقد رُوي ذلك ، ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشرٌ كثير من أهلها بهرقل وهو بانطاكية ، فكثرت فضول منازلها ، فنزلها الناس »[١٠]

ويروي ابن عساكر عن خليفة بن خياط انه اشترط في صلح دمشق « ان للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم واسواقها »[١١] ، كما يروى عن مسلمة الجهني عن عمه « نشاطرهم[١٢] منازلهم ، فيسكن فيها المسلمون ، وأن نأخذ الحيز القبلي من كنائسهم لمساجد المسلمين » .

ولعل أبا مسهر كان أدق في تصويره تطور الاوضاع حيث قال « اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا عشر بطريقاً فأقرّوا في منازلهم ، وكان لكل بطريق منهم في منزله يعني كنيسة ، فأقاموا بها حيناً ، ثم بدا لهم

(٦) فتوح البلدان ١١٥ ، وانظر أيضاً : تاريخ اليعقوبي ١٥٩/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٢٩/٥ .
(٧) الطبري ٢١٥٩/١
(٨) فتوح البلدان ١٢٢
(٩) كذلك ١٢٦
(١٠) كذلك ١٢٢
(١١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٦٩/١ ، ولم اجد هذا النص في المطبوع من تاريخ خليفة .
(١٢) كذلك ٥٧٠/١

فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فأقطعهاقوم من أشراف دمشق منهم بحدل وابن مدلج العذري وغيرهما ؛ فلما ولى عمر بن عبدالعزيز أخرج أولادهم منها وردّها على الأعاجم ؛ فلما مات عمر رُدّت الى أولاد الذين اقطعوها » [١٣] .

وذكر البلاذري مثل هذا الوضع في الأُردن وفي حمص؛ فأما عن الأردن فانه ، يقول إن أهل طبرية بعد أن قضى شرحبيل بن حسنة على تمردهم صالحوه « على منازلهم إلاّ ما جلّوا عنه وخلّفوه » ويضيف « فتح شرحبيل جميع مدن الأُردن وحصونها على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال ، ففتح بيسان ، وفتح سوسية ، وفتح أفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان [١٤] ويقول الطبري إن أهل طبرية وبيسان كان من شروطهم «أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن»[١٥].

اما عن حمص فيقول البلاذري « وذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص ، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه ، وأن السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة»[١٦] ويروي الطبري عن أشياخ من غسّان وبلقين أن صلح حمص « على أنصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم فتركوه لهم .. وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه»[١٧] ويقول البلاذري إن السمط هو الذي قسم منازل حمص بين أهلها [١٨] .

ويروي أبو عبيد أن الوليد بن هشام المعيطي قال «لمّاولاّني عمر بن عبدالعزيز قنسرين ، وكانت صلحاً ، شكا اليه اهل الذمة المسلمين أنهم قد نزلوا منازلهم فكتب اليّ ان انظر من كان في منازل اولئك الذين كانوا من اهلها حين صالحوا

(١٣) كذلك ٢/١٢٦ وانظر تفاصيل أوفى في ١/٥٦٩ فما بعد
(١٤) فتوح البلدان ١١٥
(١٥) الطبري ١/٢١٥٩
(١٦) فتوح البلدان ١٣٠
(١٧) الطبري ١/٢٣٩١
(١٨) فتوح البلدان ١٣٧

فأخرج من كان في منازلهم عنهم ،قال فنظرت فإذا أولئك قليل، فسألوني الكف عن ذلك فكففت»[١٩]

ان المعلومات الواردة في الفترة السابقة مرجّحة ، ولكن المصادر لا تذكر مساحة وموقع هذه الأبنية التي جلا أهلها عنها ، لأننا لا نعلم تفاصيل خطط مدن بلاد الشام عند الفتح الاسلامي ، ومن المحتمل أن هذه الأبنية كانت موزّعة في مختلف أرجاء كل مدينة أو بلدة ، وأن معظمها كانت من الأبنية الجيدة ، لأن أصحابها كانوا ، أو أغلبهم، من الاداريين أو ممن حالتهم المالية جيدة .

إن اهم مدينتين اتخذهما العرب مركزاً للسكن هما دمشق وحمص ، أما المقاتلة فقد وزعوا على الولايات الاربعة التي يتكون منها اقليم الشام وهي دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والاردن ،وقد اتخذ العرب اللدّ مركزاً لهم في فلسطين ، كما اتخذوا طبرية مركزاً للاردن والراجح أن هذه المدن هي التي أقام فيها مقاتلة كل جند .

غير أن الخطر الأكبر الذي كان يهدد حكم العرب في بلاد الشام في عهد خلافة عمر هو الأسطول البيزنطي الذي كانت له انذاك السيادة في البحر المتوسط ، ولم يكن العرب قد أنشأوا أسطولهم بعد، فكان لا بد من اتخاذ التدابير لحماية المدن والموانيء الساحلية المعرضة لتهديدات الأسطول .

يذكر البلاذري أن اللاذقية وجَبَلَة وانطرسوس فُتحت في زمن ولاية أبي عبيدة « وكان يوكل بها حفظة الى انغلاق البحر » [٢٠] .

وقد أدرك معاوية أن هذا التدبير لا يكفي ، فلما ولي الشام كتب الى عمر « يصف له حال السواحل ، فكتب اليه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة فيها

(١٩) الأموال ٥٣

(٢٠) فتوح البلدان ١٣٣

واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المراقب لها »[٢١] ويقول أبو حفص الدمشقي « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها من المسلمين ، فإن حدث في شيء منها حَدَث من قبل العدو سربوا إليها الامداد [٢٢] ويبدو أن هذا الاجراء استمر أمداً فيذكر البلاذري « كان معاوية يوجه في كل عام الى طرابلس جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم ويوليها عاملاً ، فاذا انغلق البحر قفل وبقي العامل في جُميعة منهم يسيرة ، فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى ولي عبدالملك » [٢٣] ويذكر أيضاً « كانت قورس كالمسلحة إلى انطاكية يأتيها كل عام طائفة من جند أنطاكية ومقاتلتها ثم حُوِّل إليها ربع من أرباع أنطاكية وقطعت الطوالع [٢٤] .

ولما استخلف عثمان كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع ، ففعل [٢٥] ؛ وكان « الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع [٢٦] .

ويذكر البلاذري أن معاوية « أنشأ جبلة وشحنها بالرجال » [٢٧] ، ويذكر أنه « بنى معاوية أنطرسوس ومصّرها وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس » [٢٨] .

(٢١) كذلك ١٢٧
(٢٢) كذلك ١٢٧
(٢٣) كذلك ١٣٦
(٢٤) كذلك ١٤٨
(٢٥) كذلك ١٢٧
(٢٦) كذلك ١٢٦
(٢٧) كذلك ١٣٢ وانظر ياقوت ٢/٢٥
(٢٨) كذلك ١٣٢ ، ياقوت ٣٨٨/١ وعن مرقية انظر ياقوت ٥٠١/٤

وقد أمر عثمان معاوية « أن يـُعـِدّ في السواحل إذا غزا أو أغزى ، جيوشاً سوى من فيها من الرتب ، وأن يقطع الأرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ويكبر ما كان ابتني قبل خلافته» (٢٩) ، كما أمر أن يقيم بها « قوماً وأن يقطع قطائع » (٣٠) .

ولما ثارت عسقلان وأعاد فتحها معاوية «أسكنها الروابط ووكل بها الحفظة»(٣١).

وعلى مرّ الأيام ازداد انتقال الناس الى السواحل من كل ناحية(٣٢) ؛ ويروي هشام بن الليث عن اشياخه « أُنزلنا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوا معنا ، وكذلك جميع سواحل الشام » (٣٣) .

ويجدر ان نلاحظ أن بلاد الشام تعرضت في صدر الاسلام الى طواعين اجتاحتها في عدة سنوات متتابعة (٣٤) ولا بد أنها كانت في كل مرة تفني عدداً غير قليل من سكانها . بنسب غير منتظمة ، واشهر هذه الطواعين طاعون عمواس الذي اجتاح البلاد في سنة ١٨ هـ وأفنى عدداً كبيراً من المقاتلة العرب وقادتهم(٣٥) ، وكانت هذه الطواعين من العوامل التي حملت الخلفاء الامويين على الاقامة في قصور متناثرة في الأرياف والبوادي (٣٦) ، ولعل عدداً غير قليل من السكان فضل الانتشار والإقامة في الأماكن القليلة الازدحام حيث يقل خطر العدوى .

(٢٩) كذلك ١٢٧
(٣٠) كذلك ١٤٦ — ٧
(٣١) كذلك ١٤١
(٣٢) كذلك ١٢٧
(٣٣) كذلك ١١٦
(٣٤) انظر تاريخ دمشق لإبن عساكر ٣٤١/١ ؛ الحيوان للجاحظ ١٣٥/٤ ؛ الطبري ١٥٦٣/٢ ، ١٥٦٤ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ١٧٨٤/٢ .
(٣٥) الطبري ١٥١٣/١ فما بعد
(٣٦) انظر الطبري ١٧٨٤/٢ (عن سكنى يزيد بن عبدالملك) ، ١٧٩٦/٢ (الوليد بن يزيد) وانظر مقال لامنس «البادية» المنشور في كتابه «دراسات عن عصر الأمويين »

ثم إن الخلفاء الأمويين كانوا يرسلون حملات من أهل الشام الى عدد من الأماكن لاخماد الثورات او لمساعدة الجيوش الاسلامية في حفظ الحدود وتوسيع رقعة البلاد الاسلامية . ولا ريب في ان معظم هذه الحملات وقتية ، تعود الى مراكزها بعد انجاز مهماتها ، غير أن بعضها يستقر في البلاد التي يرسل اليها ؛ ومن ابرز الامثلة على ذلك الطالعة التي ارسلت من اهل الشام في زمن الخليفة الى الاندلس واستقرت فيها بعد ان توزعت في مدنها (٣٧) .

ويقابل هذا هجرات « غير رسمية » من افراد او جماعات كانت تأتي بلاد الشام وتستقر في ارجائها طلباً للرزق والعمل دون ان تسجل في الديوان ، او تتقيد بما يلزمها الاقامة في مكان محدد ؛ وبذلك تعوض، عمن يقتل في الحروب او يهاجر الى الاماكن الأخرى .

ذكر كثير من كتب التاريخ والسير والرجال اسماء عدد كبير من أهل الشام والعشائر التي ينتمون اليها وبعض الأعمال التي ساهم كل منهم فيها ؛ ولكن دون الاشارة الى أماكن استيطان هؤلاء الأشخاص او الى مدى سكنى العشائر التي ينتمون اليها في بلاد الشام ؛ فالقوائم التي تنظم اسماء هؤلاء الأشخاص لا تفيد كثيراً في دراسة مدى انتشار العرب في بلاد الشام بعد الفتح الاسلامي .

ان هذه العوامل كانت تؤثر في عدد العرب وتتطلب اعادة توزيعهم ، ولا بد ان هذا التوزيع قد تكرر بأشكال متعددة، وفي أزمنة يصعب ضبطها، غير انه يمكن معرفة الصورة التي استقرت فيها الاوضاع في أواخر القرن الثالث الهجري مما ذكره اليعقوبي عن توزيع قبائل جندي حمص ودمشق واشاراته الى قبائل فلسطين والاردن ، حيث قال :

« أهل حمص جميعاً يمن من طي وكندة وحمير وكلب وغيرهم من بطون اليمن . وبحمص اقاليم منها :

(٣٧) انظر فجر الأندلس : للدكتور حسين مؤنس ٣٥٦ فما بعد

التمّة : وأهلها كلب .

الرستن وحماة : أهلها بهراء وتنوخ .

صوران : به قوم من إياد

سلمية : أهلها من ولد عبدالله بن صالح الهاشمي ، مواليهم ، وأخلاط من الناس تجار وزرّاع .

تدمر : أهلها كلب .

تلمنس : وهي مساكن إياد .

معرة النعمان : وأهلها كلهم تنوخ .

البارة : وأهلها بهراء .

فامية : وأهلها عذرة وبهراء .

شيزر : وأهلها قوم من كندة .

الأطميم : وأهلها قوم من يمن من سائر البطون ، أكثرهم كندة .

اللاذقية : أهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب .

جبلة : أهلها همدان ، وبها قوم من قيس وإياد .

بلنياس : أهلها أخلاط .

انطرسوس : أهلها قوم من كندة .

اما كورة دمشق فمنها :

الغوطة : وأهلها غسّان وبطون من قيس ، وبها قوم من ربيعة .

حوران ومدينتها بصرى : وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويداء فان بها قوماً من كلب .

أذرعات : وأهلها من يمن ومن قيس .

عـمّان والغور : وأهلها قوم من قيس وبها جماعة من قريش .

جبال ومدينتها عرندل : وأهلها من غسان ومن بلقين وغيرهم .

مآب وزغر : وأهلها اخلاط من الناس .

الشراة ومدينتها اذرح : واهلها موالى بني هاشم .

الجولان ومدينتها بانياس: واهلها قوم من قيس اكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن .

جبل سنير : وأهلها بنوضبة وبها قوم من كلب .

بعلبك : في أطرافها قوم من اليمن .

جبل الجليل: أهلها قوم من عاملة .

صيدا : بها قوم من قريش ومن اليمن .

عرقة : بها قوم من ربيعة من بني حنيفة (٣٨) .

ويتضح مما ذكره اليعقوبي ان القبائل العربية في بلاد الشام كانت موزعة كما يلي :

كندة : حمص ، شيزر ، الاطميم ، اُنطر سوس ، فلسطين .

همدان : حمص ، اللاذقية ، جبلة .

طـي : حمص

حمير : حمص

كلب : حمص ، اقليم التَمّه ، تدمر ، السويداء ، جبل سنير .

بهـراء : الرستن ، حماة ، البامة ، فامية .

تنوخ : الرستن ، حماة ، معرة النعمان .

إيـاد : صوران ، تلمنس ، جبلة .

عـذرة : فاميـة

(٣٨) البلدان ٣٢٤ - ٣٢٦

سليح : اللاذقية

زبيد : اللاذقية

يحصب : اللاذقية

قيس : جبلة ، الغوطة ، حوران ، اذرعات ، عمان والغور ، الجولان وبانياس ، فلسطين .

غسان : الغوطة ، جبال وعرندل

ربيعة : الغوطة .

بلقين : جبال وعرندل .

اليمن (؟) : الجولان ، اذرعات ، بعلبك ، صيدا .

ضبة : جبل سنير

حنيفة : عرقة

الأشعر : طبرية والاردن

جذام : جبرين

لخم : فلسطين

عاملة : فلسطين ، الجليل .

كنانة : فلسطين

قريش : عمان ، صيدا

ثبّت العرب تقسيم بلاد الشام الى اربعة اقسام ، سموا كلاً منها جنداً . وهي دمشق وحمص وفلسطين والأردن ، وكان الخليفة يعيّن على كل من هذه الاجناد والياً ؛ وقد ولي دمشق أبرز الولاة الأولين وهم ابوعبيدة بن الجرّاح ثم يزيد بن أبي سفيان ، ثم تلاهما معاوية الذي ظل في الولاية الى ان اصبح خليفة ؛ ومن المحتمل أنه اصبحت له في زمن خلافة عثمان مكانة متميزة في

بلاد الشام وسلطة متميزة على ولاة بقية الاجناد إن لم يكن اصبح مسؤولاً عن تعيينهم [٣٩] .

أصبحت دمشق في العهد الأموي مركز الخلافة ومرجع الدولة كلها ؛ غير أن بلاد الشام بقيت محتفظة بأجنادها الأربعة الى أن اضيف اليها جند خامس هو قنسرين بعد أن كان من جند حمص . ثم فصلت الجزيرة عن قنسرين في زمن عبدالملك بن مروان ، واصبحت إقليماً قائماً بذاته .

وكانت الأجناد أساس تقسيم كل جيش كان يرسله الخلفاء الأمويون من بلاد الشام الى مختلف البلاد في المشرق والمغرب لاخماد الثورات أو اسناد الجيوش الأخرى والقيام بالفتوح .

وقد ذكرت المصادر هذه الحملات وما قامت به من اعمال عسكرية ، وذكرت اسماء قوّاد كل حملة ، واشارت الى تقسيم بعضها الذي لا يخرج اساسه عن الاجناد التي ذكرناها ؛ وهي أن أهل الشام يتكونون من أهل دمشق ، وأهل حمص ، وأهل فلسطين ، وأهل الأردن ، وأهل قنسرين [٤٠] . وذُكر انه في التعبئات الكبرى يكون أهل حمص في المقدمة واهل دمشق في القلب [٤١]

غير ان المصادر لم تذكر المكّونات القبلية لكل من الأقسام المذكورة اعلاه ، الا ما ذكره نصر بن مزاحم في كلامه عن تنظيم جيش معاوية عندما تقدم لمقاتلة الامام علي في صفين . فقد ذكر اسم حامل اللواء ، وقائد كل من قائد الخيل والرجالة والميمنة والميسرة ، ثم ذكر مكّونات كل من المجموعات التي تكون منها جيش أهل الشام وقوادها ، وهي مكونة مما يلي :

(٣٩) ذكر الطبري اسماء أجناد الشام في زمن عمر بن الخطاب (طبري ٢٥٢٦/١ ، ١٨٦٦) وذكرهم في زمن عثمان قائلا « عمال عثمان على الشام معاوية وعامل معاوية على حمص .. والاردن .. وفلسطين » (٢٣٠٥٧/١ ؛ ويدل هذا ان معاوية اصبحت له ولاية كل بلاد الشام في زمن عثمان . وذكر البلاذرى « وجمع عثمان لمعاوية الشام والجزيرة وثغورها (فتوحات البلدان ١٨٢)

(٤٠) ذكرنا من قبل دور اهل الشام في خراسان وسنفرد لدورهم في العهد الاموي بحثاً خاصاً .

(٤١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٩/٢ وانظر ٢٦١/١ ؛ ويذكر ابن عساكر ان معاوية كتب الى ابن قرط « اذا حضر أهل الشام جميعاً ، فأهل دمشق وحمص ميمنة الامام ٢٦١/١ .

دمشـق

القلب : الضحاك بن قيس الفهري

ارجالة : بسر بن أرطاة

قضاعة (قيس) : حسان بن بحر (!) الكلبي

كنـــدة : حسان بن حُوَيّ السكسكي

رجالة قيس : همام بن قبيصة .

حمص

الميمنـــة - : ذو الطلاع

الرجالة : حوشب ذى ظليم

كنـــدة : يزيد بن هبيرة السكوني

قيس : بلال بن أبي هبيرة الأزدي

قنسريـن (!)

الميمنة : زفر بن الحارث

الرجّالة : طريف بن حابس الهلالي

الأردن

الميسرة : ابو الأعور السلمي

الرجالة : عبدالرحمن القيسي

قضاعـــة : حبيش بن دلجة القيني

مذحج : مخارق بن الحارث الزبيدي

همْدان الأردن : حمزة بن مالك

غسان الأردن : يزيد بن ابي النمس

فلسطين : الحارث بن عبيد الأزدي

كنانـــة : شريك الكناني

جذام ولخم : ناتل بن قيس الجذامي [٤٢] .

ومن الواضح في هذه القائمة التي ذكرها نصر بن مزاحم ، عدم توازن المعلومات الواردة عن تنظيم جيش كل من هذه الأجناد الخمسة. فقد ورد في هذه القائمة اسماء قادة الرجّالة في كل منها ، واسماء قادة الميمنة في ثلاث منها ، واسم قائد القلب وقائد الميسرة في واحد منها ؛ والراجح ان هذا التباين يرجع بعضه الى عدم استيعاب القائمة لكل التنظيم ، ولا يرجع الى نقص في التنظيم الأصلي .

وذكر نصر بن مزاحم أيضاً أنه « كان على خثعم ولفّها حمل بن عبد الله الخنفي » و « على القواصى(!)القعقاع بن ابراهيم الهلالي» ؛وذكر في قائمته أيضاً اسماء من كان على أهل كل من هذه الأجناد ابان سيرهم الى صفين ، وعند اشتباكهم في المعركة .

ويتبين من قائمة نصر بن مزاحم أن جيش كل جند كان من مجموعات قبلية ، وقد ذكر للأردن اربع مجموعات ولكل من دمشق وحمص وفلسطين مجموعتين . ويظهر من قائمته ان كلاً من قضاعة ، وكندة ، وقيس كونت وحدة قائمة بذاتها في أكثر من جند واحد .

ان قائمة نصر بن مزاحم ، بصرف النظر عن مدى دقتها ، هي إجمالية ولا يمكن اعتبارها مستوعبة لكافة عشائر كل جند ، كما انها تظهر تنظيم جيش معاوية عند تقدمه الى صفين ؛ اما الأخبار المفصّلة الاخرى عن الاشتباكات وسير القتال في صفين ، ففيها ذكر لاسماء عشائر اخرى كثيرة ويبدو منها ان تطور المعركة استلزم بعض التعديل للتنظيم الذي كان متبعاً عند التقدم الى ميدان القتال .

(٤٢) صفين لنصر بن مزاحم ٢٣٢ – ٤ . تاريخ خليفة بن خياط ١٧٨/١ – ٩ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩١/١ ، ٣٤٧ ، ٤٨١ . واقتصر الطبري على ذكر اسماء قادة الاقسام الرئيسة في الجيش (٣٢٨٣/١) ويجدر ان نشير الى ان في المعلومات التي وردت عن وقعة صفين مادة واسعة نرجو أن تكون موضوع بحث مستقل عن اهل الشام واهل العراق .

يروى ابن عساكر « ان جند حمص المتقدم ، وإن كانت يومئذ ثغراً ، وان الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من أرض دمشق في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم الى معسكر دابق معاوية بن ابي سفيان لقربه من الثغور ، فكان والى الصائفة وامام العامة في أهل دمشق لأن من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين مقدمة لهم ، وأهل الثغور مقدمة لهم »(٤٣) .

ان هذا النص صريح بان مركز تجمع البعوث للحملات العسكرية ، ومكان توزيع العطاء على المقاتلة في بلاد الشام كان في الجابية ، ثم نقله معاوية الى دابق . والواقع ان المعلومات الواردة في المصادر الأخرى تؤيد أن الجابية كانت مركزاً مهماً فقد قدمها عمر بن الخطاب في سنة ١٨هـ (٤٤) ، وفي خلال بقائه فيها صالح أهل ايلياء(٤٥) ، وبعث خالد بن مالك الفهمي الى القدس(٤٦) وجمع الولاة وحاسبهم (٤٧) ، ونظم قسمة الاراضي (٤٨) ، واعلن عن تنظيم العطاء (٤٩) . أما دابق فانه توجد اشارات غير قليلة في المصادر الى انها كانت ابان العهد الاموي مركزاً لتجمع الجيوش التي تنطلق لغزو الروم(٥٠) . وليس من المستبعد ان يتم فيهما توزيع العطاء على المشاركين في الحملات ، ولكن هذا لا يعني ان هذين البلدين كانا المركز الموحد لادارة المالية في كل بلاد الشام .

(٤٣) تاريخ دمشق ٢/١١٩

(٤٤) الطبري ج/٢٣٦٠ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠٣ ، ٥٢٠٤ ؛ فتوح البلدان ١٣٨ الأموال لأبي عبيد ١٥١

(٤٥) الطبري ١/٢٤٠٥ ، ٢٤٠٧ ، فتوح البلدان ١٣٨ .

(٤٦) الأموال ١٥٣ ، ١٥٤

(٤٧) الطبري ١/٢٤٠٢ ، ٢٥٢٦

(٤٨) الأموال ٥٩

(٤٩) الأموال ٢٢٣ ، ٢٦٣

(٥٠) انظر مثلا الطبري ٢/١٣١٥ – ٧ ، ١٣٣٦ ، ١٣٤٠ ، ١٣٦١ وعن العصر العباسي انظر ٣/٤٨٥ ، ٤٩٩ ، ٦٥٩ ويقول ابن العديم « وولاة الصوائف ترد كل عام مع الجيوش الاسلامية الى دابق »(زبدة الطلب ١/٤١) .

ان اتخاذ مركز لتجميع الجيش قبل تحركه الى ميادين القتال ، هو تنظيم ضروري لتيسير عملية إنفاذ البعوث ؛ ولا ريب في ان للجابية موقعاً جغرافياً متميزاً يؤهلها لأن تكون مركزاً لانفاذ الجيوش القادمة من الحجاز ومناطق شبه جزيرة العرب الى بلاد الشام والى فلسطين ومصر ؛ كما ان لموقع مرج دابق مثل هذه الميزة لتجمع الجيوش التي تتقدم إلى الدرب الرئيس الذي يخترق جبال طوروس ويؤدي الى بلاد الروم . ولا بد ان تحويل مركز تجمع البعوث من الجابية الى دابق تم بسبب تناقص خطر الروم على الاطراف الشمالية للدولة ، واتخاذ الامويين مواقف المبادأة في التعرض للروم والهجوم عليهم ؛ وبذلك يكون مرج دابق اكثر ملاءمة للسياسة الجديدة من الجابية التي تقع في الاطراف من بلاد الشام وبعيدة عن الدروب التي تسلكها الجيوش الاسلامية في الهجوم على الروم . ثم إن تسليم العطاء للمشاركين في البعوث في اماكن تجمعهم يضمن عدم دفع العطاء لمن يتهرب من البعث للقتال .

غير أن هذا لا يعني أن كلاً من الجابية ثم دابق اصبحت مركز الادارة المالية في بلاد الشام ؛ لأن الصورة العامة للنظم التي اتبعها العرب في الادارة تظهر بانه كان لكل جند مركز إداري يضم الدواوين ويستلم الجبايات ويقوم بتوزيع العطاء على المقاتلة فيه ، وخاصة لمن لا ينضم منهم الى البعوث ؛ ولعل اوضح مظهر لذلك هو أن كل قسم ، أو جند ، كان له والٍ ذو مكانة أهلته لأن تهتم به المصادر فتذكر اسمه(٥١) .

غير أن توزع مقاتلة معظم هذه الاجناد كان يقضي باتباع تنظيم خاص في الادارة المالية وفي ترتيب العشـــائر ، يختلف عما في البصرة والكوفة حيث استوطن المقاتلة العرب باعداد كبيرة في كل منهما مما اقتضى تنظيم العشائر فيها وتعيين العرفاء للعشائر ، وجَعْل كل عشيرة مكونة من الف مقاتل(٥٢). وفي

---

(٥١) انظر مقالنا « موظفو بلاد الشام في العهد الأموي » المنشور في مجلة الابحاث م ١٩ ج١ سنة ١٩٦٦ .

(٥٢) انظر كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٤٩-٥٠

الكتب معلومات كثيرة عن العرب في بلاد الشام . ولكن لا تتوفر المعلومات عن التنظيم الذي وضع للمقاتلة في بلاد الشام ولا بد ان هذا التنظيم قام على اساس التنظيم القبلي ، وان لم يكن مطابقاً في تفاصيله لما كان متبعاً في العراق .

ولما كان التنظيم الاداري في بلاد الشام قائماً على اساس اجنادها ، فاننا سنتخذ ذلك في تنظيم بحثنا ، وندرس العرب في كل جند ، مبتدئين بالأجناد الجنوبية وهي فلسطين والاردن ، لانها كانت منعزلة نسبياً ، ثم ندرس دمشق فحمص ، ثم قنسرين .

فلسطين :

كانت فلسطين تضم اللُّد والرَّمْلة ، وعمواس ، ونابلس ، وقيسارية ، ويافا ، وسبسطية ، وبيت جبرين ، وعسقلان ، وغزّة ، وبيت المقدس[٥٣] .

كانت قيسارية اهم مدن فلسطين عند الفتح الاسلامي ، وقد تحصن فيها الروم وقاوموا الجيوش الاسلامية ، فتأخر فتحها عدة سنوات .

وفي العهد الاموي كانت اللُّد هي مركز فلسطين ، فلما ولي سليمان الخلافة « أحدث مدينة الرملة ومصّرها »[٥٤] وقد « انشأ مسجد جامعها وقصر امارتها ونقل الناس اليها من لدّ ، وكانت المدينة التي ينزلها الناس ، فأخذ بهدم منازلها والبنيان بالرملة ، وعاقب من امتنع من ذلك وهدم منازلهم وقطع الميرة عنهم حتى انقفلوا وخرب لُدّ »[٥٥] وفلسطين « عامة سكانها العرب متغلبون عليها »[٥٦] .

وفي أخبار صفّين ما يوحي بقبائلها ، فقد ذكرنا انه كان على كنانة فلسطين شريك الكناني ، وعلى جذام فلسطين ولخمها ناتل بن قيس الجذامي ، وكان على

(٥٣) المسالك والممالك لابن خرداذبه ٧٨ ، أحسن التفاسيم للمقدسي ١٥٤ البلدان لليعقوبي ٣٢٨ – ٩ ؛ الاعلاق الخطيرة لابن شداد الجزء الخاص بلبنان والاردن وفلسطين ص١٨١ فما بعد

(٥٤) فتوح البلدان ١٤٣ ؛ الاعلاق الخطيرة ١٨١ – ١٨٢

(٥٥) تاريخ اليعقوبي ٣٥١/٣ ، انظر البلدان لليعقوبي ٣٢٨ البلدان لابن الفقيه ١٠٣ .

(٥٦) المسالك والممالك للاصطخري ٥٨

رجالة أهل فلسطين الحارث ابن عبيدة الازدي ، ويذكر اليعقوبي ان « أهل جند فلسطين أخلاط من لخم ، وجذام ، وعاملة وكندة ، وقيس ، وكنانة» (٥٧).

فأما لخم وجذام فكانتا من القبائل القديمة في فلسطين ، كما ذكرنا من قبل . ويلاحظ أن أبرز رؤساء فلسطين المذكورين هم من جذام مثل سعيد بن زنباع الجذامي (٥٨) ، وثابت بن نعيم الجذامي الذي اختاره أهل فلسطين ليكون عليهم في الاضطرابات التي حدثت قبيل مجيء العباسيين (٥٩) . ويذكر اليعقوبي ان كورة جبرين اهلها قوم من جذام (٦٠) .

ويذكر ابن حزم أن عمرو بن كنانة « وهم قليل ودارهم بفلسطين» (٦١).

الأردن :

اما الأردن فكان يشمل طبرية ، وصور ، وعكا ، وقدس ، وبيسان ، وفحل ، وجرش ، وسوسية ، وبيت راس (٦٢) .

ومدينته الرئيسة هي «طبرية واهلها من الاشعريين ، وفي بقية مدنها اخلاط من العرب» (٦٣) .

لم تذكر المصادر التاريخ الذي بدأ فيه استيطان الاشعريين طبرية ، وفي صفين كان على «قضاعة الأزد حبيش بن دلجة ، ومذحج الاردن مخارق بن الحارث الزبيدي ، وهمدان الاردن حمزة بن مالك ، وغسان الاردن يزيد بن ابي النمس» وكان علي رجالتهم عبدالرحمن القيسي ، وعلى ميسرتهم ابو الاعور السلمي .

ويذكر المسعودي ان مروان بن محمد مر خلال هزيمته بالاردن « فوثب به هاشم بن عمرو القيسي والمذحجيون جميعاً» (٦٤) .

---

(٥٧) البلدان ٣٢٧

(٥٨) الطبري ١٨٣٧/٢

(٥٩) الطبري ١٨٩٢/٢

(٦٠) البلدان ٣٠٣

(٦١) جمهرة النسب ١٧٠ ، وانظر ٣٣٠

(٦٢) البلدان لليعقوبي ٣٤٧ ، المسالك والممالك لابن خرداذبه ٧٨ .

(٦٣) البلدان ٣٢٧

(٦٤) مروج الذهب ٨٥/٦

دمشــق :

يقع جند دمشق في أواسط بلاد الشام ، ويشغل منطقة واسعة تمتد الى البحر ، ويحتوي على كور ذات اهمية كبيرة بعضها برية وبعضها بحرية .

فأما كورة البرية فهي تسعة :

(١) البقاع ومدينتها بعلبك

(٢) حوران ومدينتها بصرى

(٣) البثنية ومدينتها أذرعات

(٤) الظاهر ومدينتها عـمّان

(٥) الغور ومدينتها اريحا ويجمعها أرض البلقاء

(٦) الجبال ومدينتها عرندل

(٧) الجولان ومدينتها بانياس

(٨) الشراة ومدينتها أذرح

(٩) زُغَر .

وأما البلاد الساحلية من جند دمشق فانها تشمل عِرْقة ، وجبيل ، وصيدا ، وبيروت ، واطرابلس (٦٥) .

ولا ريب في ان المدينة الرئيسة في هذا الجند هي دمشق ، وهي من أقدم المدن وأكبر مدينة عربية كانت قائمة عندما بدأت الفتوح الاسلامية ؛ وكانت عند تقدم العرب محصّنة بسور محكم يحيطها ، ولكن العرب تغلبوا على مقاومة الروم فيها ودخلوها وارغموا الروم على الانسحاب شمالاً الى حمص ثم الى اخلاء كل بلاد الشام .

وقد ولي دمشق بعد فتحها أبرز القواد العرب في بلاد الشام ؛ ولكن يبدو من المعلومات القليلة المتوفرة عن ادارة بلاد الشام في اوائل سني الفتح ان سلطة واليها

(٦٥) الأعلاق الخطيرة ٤١ ، وانظر الاصطخري ٥٦ ، ابن الفقيه الهمداني ١٠٥ .

اقتصرت عليها ولم تمتد الى كافة أجناد الشام حتى زمن خلافة عثمان بن عفان الذي اصبحت سلطة واليه معاوية تشمل كل بلاد الشام وما يتبعها ؛ وقد استلزم هذا ابقاء قوة دائمة لمواجهة التطورات الاستثنائية التي تتطلب المعالجة . غير ان الاحوال التي اشرنا الى احاطتها ببلاد الشام في صدر الاسلام كانت تقتضى تقليص عدد المقاتلة المقيمين في دمشق بالرغم من ان دمشق اصبحت ابان العهد الاموي مركز الخلافة ومرجع الدولة وما يتطلبه ذلك من دواوين مركزية وعناية خاصة .

ان المعلومات المتناثرة في الكتب ، وخاصة في تاريخ دمشق لابن عساكر ، عن خطط دمشق في العهود الاسلامية الأولى تظهر ان العرب الذين استوطنوا داخلها هم افراد من ذوي المكانة في الادارة والسياسة ؛ فكان لعدد منهم دور وقصور ومساجد مسماة باسمائهم ، ولكن لم يرد ذكر محلة او قطاع باسم عشيرة أو قبيلة عربية ؛ الأمر الذي يدل على ان المقاتلة العرب لم تسكن داخل المدينة .

نزلت العشائر العربية التي تكون عظم المقاتلة في اطراف المدينة ، وقد أورد ابن عساكر المعلومات المتوفرة في زمنه عن ذلك فقال :

« وكان أكثر ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وابنية متقاربة ، فخرب اكثر ذلك في الفتن والحروب والحصارات وباد أهلوه ، وتمادى عليه الخراب الآن . .

فمما سمى لنا من منازلها القبلية : فندق عبدالمطلب .. والراهب .. ومحلة السفليين .. والشماسية .. وعالية وعويلية .. والقطائع وبج حوران .. الأشعريين ، وغير ذلك .

ومن الغرب : لؤلؤة الكبيرة ، ولؤلؤة الصغيرة ، وقينية ، وصنعاء ، والحميريين ، ومنازل بني رعين ؛ وغير ذلك .

وشماليه : سَطْرا ، والفراديس ، والصدف ، ومقرى .

سوى ما كان من شرقيه من قرى الغوطة والمرج من القصور والديورة والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره واسمه»[٦٦] .

ومما يفيد في معرفة القبائل التي كانت تقيم في اطراف مدينة دمشق ، ما ذكره الطبري في كلامه عن تقدم القوات المؤيدة ليزيد الثالث ، لدخول دمشق وخلع الوليد بن يزيد ، فقد ذكر ما ملخصه ان :

أهل المزّة مع عبدالرحمن بن مصاد (الكلبي) دخلوا من باب الجابية

السكاسك (وعددهم ثلاثمائة) دخلوا من باب الشرقي

يعقوب بن هانئ العنسي في أهل داريا ، دخلوا من باب الصغير .

عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دوما وحرستا ، دخلوا من باب توما

حميد بن حبيب اللخمي من أهل دير المران والارزة وسطر ، دخلوا من باب الفراديس.

النضر بن عمر الجرشي في أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا ، دخلوا من باب الشرقي .

ربعي بن هاشم الحارثي من جماعة من بني عذرة وسلامان ، دخلوا من باب توما .

جهينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد[٦٧] .

فأما المزّة فإنها كانت « من قرى اليمانية[٦٨] ؛ واكثر الرجال الذين نسبوا اليها من كلب ، ومن هؤلاء معاوية بن مصاد « سيد أهل المزة » في زمن الوليد ابن يزيد[٦٩] . وعمرو بن حارثة الذي كانت جماعته في المزة أكثر من ألف[٧٠]

---

(٦٦) تاريخ دمشق لإبن عساكر ١٤٣/٢ ، ١٤٤

(٦٧) الطبري ١٧٩١/٢ – ٣ .

(٦٨) كذلك ١٨٩٤/٢

(٦٩) كذلك ١٧٨٨/٢ ، ١٧٩٣

(٧٠) كذلك ١٨٢٢/٢

وحكيم بن عباس[٧١]، والحسن بن اسامة بن زيد بن حارثة[٧٢] غير انه كان يسكن في المزة ايضاً جماعة من لخم[٧٣].

وبالقرب من المزّة كانت صنعاء[٧٤]. وقد سميت بذلك لأن اكثر أهلها من صنعاء اليمن، وقد ظهر من أهلها عدد غير قليل من المحدّثين ذكر بعضهم السمعاني في كتاب الانساب، وياقوت في معجم البلدان[٧٥]. وممن ذكرتهم المصادر ونسبتهم الى عشائرهم يزيد بن مرشد الهمْداني، ويزيد بن ربيعة الهمْداني[٧٦]، وحنش بن قيس الرحبي الهمْـداني[٧٧]، وابو اسماء الرحبي[٧٨]، وراشد ابن داوود البرسمي[٧٩]، وحماد بن المبارك الازدي[٨٠]. ويتبين من هذه النسب ان كثيراً من أهل صنعاء هم من أرحب وبرسم الهمدانية، وان فيهم من الأزد.

كانت السكاسك هي الجماعة الثانية التي دخلت دمشق عند ثورة يزيد الثالث على الوليد بن يزيد؛ والسكاسك هم من ابرز عشائر كندة، وقد شاركوا في فتح حمص[٨١]، وهددوا معاوية عندما أعرض عن رئيسهم مالك ابن هبيرة[٨٢]، وناصروا مروان بن الحكم في مرج راهط[٨٣]، وشاركوا في

---

(٧١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٤٢٢
(٧٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/١٥٢
(٧٣) الطبري ٢/١٨٩٤
(٧٤) تهذيب ابن عساكر ٥/٨ ياقوت ٣/٤٢٦
(٧٥) الانساب للسمعاني ٣٥١ ب – ٣٥٢ أ ياقوت ٣/٤٢٦ – ٧ .
(٧٦) السمعاني ٣٥٢ أ
(٧٧) تهذيب ابن عساكر ٥/٩ .
(٧٨) ياقوت ٣/٤٢٩
(٧٩) لهذيب ابن عساكر ٥/٢٨٩ ياقوت ٣/٤٢٩ .
(٨٠) تهذيب ابن عساكر ٤/٤٥٧ .
(٨١) الطبري ١/٢٣٩٢
(٨٢) الطبري ٢/١٤٤
(٨٣) كذلك ٢/٤٧٧

معركة الزاب (٨٤) . وكان « العمود المسّفط في شرقي المسجد (مسجد دمشق) يعرف بعمود السكاسك » وقد وضع عند هذا العمود رأس يحيى بن زكريا بعد ان نقل من عمود مجلس بجيلة (٨٥) . وذكر محمد كرد علي ان بيت لهيا هي قرية السكون والسكاسك (٨٦) ، ولكنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك ، رغم كثرة ترديده ذكر بيت لهيا في كتابه عن غوطة دمشق . وقد ذكر البخاري في تاريخه ، والبستي في كتابه عن علماء الأمصار ، أسماء عدد غير قليل من رجال السكاسك في الشام دون الاشارة الى مدنهم .

ومما يجدر ذكره أن كندة ، التي تعتبر السكاسك احدى عشائرها ، ساندت في مرج راهط عمرو بن سعيد الأشدق «لأنهم كانوا أخواله» ، وان الطبري يذكر ان الحصين بن نمير السكوني اشترط على مروان بن الحكم لتأييده في مرج راهط « ان ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة، فأعطاه ذلك » (٨٧) ؛ ويظهر هـذا مدى أهمية كندة ودورها ، علماً بأنه لا يوجد ما يدل على ان مروان وفى بوعده (٨٨) .

أما أهل داريّا فقد وردت عنهم بعض التفاصيل في كتاب تاريخ داريّا ، فقد ذكر ان معظم أهلها من عنس وخولان (٨٩) ، وأن فيها لخولان مقبرة (٩٠) ، ومسجداً بناه القاسم بن هزان (٩١) ، وفيها أسرة واحدة من عشيرة غرس (٩٢) ،

(٨٤) كذلك ٣/٤٠

(٨٥) فضائل الشام ودمشق للربعي ٣٢

(٨٦) غوطة دمشق ٢٢٤ (الطبعة الثانية) .

(٨٧) الطبري ٢/٤٨٧ ، وانظر مروج الذهب ٥/٢٠٠ .

(٨٨) يقول البلاذري ان مالك بن هبيرة السكوني هو الذي ادعى ان مروان وعده بالمرج ان يجعل له ولقومه كورة البلقاء ، وان مروان انكر هذا الوعد فيما بعد (انساب الاشراف ٥/١٤٩) .

(٨٩) تاريخ داريا ٢٨ انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣١٨ .

(٩٠) تاريخ داريا ٣٠

(٩١) كذلك ٩٢

(٩٢) كذلك ٨٩

واخرى من عشيرة رحب بن بكر (٩٣) الخولانيين . وذكر أسماء أربعة صرح بنسبتهم لخولان (٩٤) وذكر أسماء ثلاثة من أهلها منسوبين لعنس (٩٥) . وذكر من سكانها اثنين من محارب (٩٦) ، واثنين من الأزد (٩٧) .

الراجح ان كلاً من القواد الذين تقدموا لدخول دمشق تأييداً ليزيد الثالث ، كان يقود عشيرته التي تقيم في الأماكن التي ذُكِرَت في هذا النص ؛ فاذا صح ذلك فان تغلب كانت تقيم في دوما وحرستا ؛ ولخم تسكن دير المران والارزة وسطرا ،والأخيرة ذكر السمعاني انها تقع في الاطراف الشمالية من دمشق ، وجرش تقيم في قرى جرش والحديثة ودير زكّا . وان من قبائل دمشق بني عذرة ، وسلامان ، وجهينة .

يروي ابن عساكر انه « اذا كان اللقاء تقدم ربع قريش من أهل دمشق حتى يكونوا عند راية الأمير والجماعة ، ثم ربع كندة من جند دمشق عن يمينهم (٩٨) ، وهذا يدل على ان جيش أهل دمشق كانوا أرباعاً وان كندة كانت تتلو قريشاً في المكانة . غير ان المصادر لم تذكر كافة مكونات الأرباع وعدد كل منها ،وتذكر بعض المصادر ان اليمانية بدمشق كانوا عشرين الفاً (٩٩)

وقد وردت نصوص مفردة عن اشخاص وذكرت عشائرهم وقراهم ، فذكر ابن عساكر «داوود بن محمد المعيوفي الحجوري من أهل قرية عين شرحا»(١٠٠) ،

(٩٣) تاريخ داريا ٣٣
(٩٤) كذلك ٣٥ ، ٦١ ، ٢٩ .
(٩٥) كذلك ٢٨ ، ٥٧ ، ١٠١
(٩٦) كذلك ٣٤ ، ٦٩
(٩٧) كذلك ٤٩ ، ٧١
(٩٨) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦٢/١ ، وانظر عن تقسيم جيش دمشق الى ارباع تفسير الطبري ١٣٦/١٧ . ويلاحظ ان اهل الحجاز كانوا يسمون في الشام « الجالية » (انساب الاشراف ٢٠٢/٥) الاغاني ٢٢٨/٩ .
(٩٩) شرح نهج البلاغة ٤٩/٤ .
(١٠٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢١٤/٥ .

وابن مالك الاشجعي الحرستاني [١٠١] ، وذكر ياقوت ان « عذراء قرية بغزطة دمشق من اقليم خولان [١٠٢] ؛ غير ان هذه الاشارات مفردة ولا تكفي لوضع صورة كاملة لكافة العشائر التي استوطنت دمشق ؛ وستبقى هذه الصورة ناقصة حتى تتوفر المصادر التي ما يزال كثير منها بعيداً عن متناول الباحثين .

جند حمص :

يضم جند حمص : حماة ، شيزر ، معرّة النعمان ، صوران ، لطمين ، تل منس ، الغلاس ، كفر طاب ، جوسية ، لبنان ، الشعير ، اقاليم التمّة ، البلعاس ، البارة ، الرستن ، زمين ، القسطل ، سلمية ، عقبرتا ، الجليل ، السويدا ، رقينة ، تدمر .

وله من السواحل اللاذقية ، جبلة ، بلنياس ، انطرسوس ، مرقية ، قاسره السقى ، جرثية ، الحوله ، عملو ، زندك ، قبراتا [١٠٣] .

كانت حمص المدينة الثانية فى الاهمية بعد دمشق ، وعندما تقدم العرب الى بلاد الشام اتخذ هرقل منزله فيها [١٠٤] . وقد ظلت محتفظة بأهميتها بعد الفتح الاسلامي لقربها من الساحل واتصالها بالبحر عن طريق وادي نهر العاص ، ومع ان اهميتها تناقصت بعد فصل الجزيرة وقنسرين عنها الا انها ظلت ذات اهمية للصوائف التي كانت تجتمع عادة في دابق .

ذكر الوليد بن مسلم « أن جند حمص الجند المتقدم وان كانت يومئذ ثغراً فكان والي الصائفة وامام العامة في أهل دمشق لا بد من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين وأهل الثغور مقدمة لهم والى أهلها يولون ان كانت جولة من

(١٠١) كذلك ٤٢٧/٤

(١٠٢) ياقوت ٦٣٥/٣ ، وانظر ديوان الأخطل وشرحه ١٩/١

(١٠٣) ابن خرداذبه ٧٥ — ٦

(١٠٤) الطبري ١٥٦٢/١ ، ٢٠٦٨ ، ٢١٠٣ فتوح البلدان ١١٣ .

عدوهم»؛[١٠٥] ويروى ابن عساكر ان معاوية كتب الى عبد الله بن قرط «فاذا حضر أهل الشام جميعاً فأهل دمشق وحمص ميمنة الامام[١٠٦] .

ولا بد ان كثيراً ممن نقل الى السواحل كانوا في الاصل منها ، الا انها بقيت قاعدة رئيسة وقد وردت في المصادر اسماء عدد كبير من رجالها وعشائرهم مما يساعد على تكوين صورة واضحة عن تكوينها القبلي، كما أن المصادر رددت أن حمص ممن قسمت منازلها على العرب أي أنهم نزلوها مع أهلها القدماء ، غير أنه لا تتوفر معلومات عن خططها وأماكن سكنى كل قبيلة .

وفي المصادر اشارة الى أن عدد مقاتلتها عشرون ألفاً[١٠٧] .

وقد ذكرت المصادر ، وخاصة كتب الحديث والرجال عدداً كبيراً من رجالهم وقبائلهم ، وهم من اليمن ، غير أنها ذكرت عدداً من قبائل أخرى . وفيما يلي جدول بمن استطعت جمعهم من المصادر مرتبين حسب القبائل ، علماً بأنه يجدر ان نلاحظ ان بعضهم لم يستوطن المدينة وانما سكن في الاصقاع التي يضمها الجند ، ولذا ينبغي ان تدرس بالمقارنة مع ما ذكره اليعقوبي عن توزيع العشائر في الاصقاع .

حضرموت

بسر بن عبد الرحمن	(الاصابة رقم ٦٤٨)
جبير بن نفير	الذهبي : التاريخ ١٤٥/٣
حدير بن كريب ابو الزاهرية	ابو زرعة ٢٧٤ (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة).
الحسن	تهذيب ابن عساكر ٢٨١/٤

(١٠٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٩/٢
(١٠٦) كذلك ٢٦١/١
(١٠٧) الأغاني ١٥٥/٥ ؛ ٤٩/٦ ؛ ١١٧/١٤ .

حيوة بن شريح	ابو زرعة ٢١٣
عبدالله بن ناسج	الإصابة ٤٩٨٧
عبدالرحمن بن جبير بن نفير	الذهبي ٤/٢٧٤
عمرو بن عبدالله	الاصابة ٥٨٩٦
كثير بن مرة	الذهبي ٣/٢٠٤
معاوية بن صالح	ابو زرعة ٢١٣
يزيد بن شريح	الذهبي ٤/٢١٢ ، ٥/١٨
نصر بن علقمة	الذهبي ٥/٣٠٨

وصاب (حضرموت)

لقمان بن عامر	الذهبي ٤/٣٩٧
محفوظ بن علقمة	الذهبي ٤/٣٩٨ ابن ماكولا ١/١٥٢
محمد بن حفص	الدولابي ٢/٧٥

مهــرة

موسى بن أيوب	الذهبي ٥/٣٠٦

كنــدة

احمد بن خالد	تاريخ البخاري ١٤٨٣

التراخم (كندة)

«تراخمة بطن من يحصب نزلوا حمص»	اللباب ١/١٧٢
ابو بحرية عبدالله بن قيس	الذهبي ٤/٧٣
سعيد بن محمد	ابن ماكولا ١/٤١٦

السكاسك

حوشب بن سيف (ويقال المعافري)	الذهبي ٣٦٢/٣ تهذيب إبن عساكر ١٣/٥
زامل بن عمرو الحميري	تهذيب إبن عساكر ٣٤٦/٥
صفوان بن عمرو	خليفة : الطبقات ٣٤٦ ،أبو زرعة ٢٩٣
مالك بن عامر	خليفة : الطبقات ٣٤٦ . أبو زرعة ٢٩٣
مالك بن يخابر الالهاني	أبو زرعة ٣٦٧ الذهبي ٤/ ٦٩٣
يزيد بن عميرة الزبيدي	الذهبي ٢١٥/٣
(ويقال الكندي ويقال السكسكي)	

السكون

أشعث بن ميناس	الاصابة ٤٦٥
صالح بن شريك	الاصابة ١٩٠/٢ ، ٣٥٠ الذهبي ٢٥٧/٣
صفوان بن عمرو	خليفة : الطبقات ٣١٦
عاصم بن حميد	الاصابة ٦٢٨ الذهبي ٢٦٠/٣
عمرو بن قيس بن ثور بن مازن (سيد أهل حمص)	الذهبي ١٩٣/٥

الألهان (السكون)

ابراهيم بن محمد بن زياد	تاريخ البخاري رقم ١٠١١
رزيق ابو عبدالله	الذهبي ٦٩/٥
سلمة بن نفيل اليراعي : رئيس ألهان على رجالة حمص بصفين	الإصابة ٣٤٠٢

عبدالله بن غاير	الذهبي ٤/١٣٨
حوشب ذو ظليم	تهذيب ابن عساكر ٥/١٤
كان على رجالة حمص في صفّين	

حمير

تبيع	الاصابة ٨٦٠
حدير بن كريب ابو الزهرية	تهذيب ابن عساكر ٤/٩٠
ابو خالد بن خالد	الدولابي ١/١٦٢
راشد بن سعد	ابن سعد ٧ — ٢/١٦٢

ذو كلاع اسميفع بن باكورا الاحاطي (شهد اليرموك ودمشق وصفين وكان مع أهل حمص الميمنة : الاصابة ٢٥٠٥ تهذيب ابن عساكر ٤/٢٦٧ ، ٦٧٧

يريم بن معد يكرب بن أبرهة بن الصباح

« كان سيد حمير بالشام في زمانه » الاصابة ٩٣٩١

وحاض (حمير)

شبيب ابو روح	الذهبي ٣/٢٥٤
يحيى بن صالح	الدولابي ١/٩٦

يَـزَن

يزيد بن خمير	الذهبي ٣/٣١٢ ، ٥/١٧
هشام بن عبدالملك	ابن ماكولا ١/٣٤٦

زَبيـد

ابراهيم بن العلاء	تاريخ البخاري ٩٧٤
اسحق بن ابراهيم بن العلاء	تاريخ البخاري ٢١٣
حمزة بن حبيب	الذهبي ٤/٢٥٩

محمد بن الوليد بن عامر   مشاهير علماء الامصار رقم ١٤٤٢

الكلاع

(قبيلة كبيرة نزلت حمص   اللباب ٣/ ٦٣

حراز بطن من الكلاع نزل اكثرهم حمص (اللباب ١/ ٢٨٨)

ميثم من الكلاع قبيل بحمص   (اللباب ٣/ ١٩٨)

اليفع بن عبد	الذهبي ٤/ ٩٢
بقية بن الوليد	تاريخ البخاري ٢٠١٢
ثور بن يزيد	ابن سعد ٧ ــ ٢/ ١٧٠
الحكم بن نافع	الدولابي ١٤٤
خالد بن معدان بن أبي كرب	الذهبي ٤ / ٨٧ ، ١٠٩ ، تهذيب ابن عساكر ٥/ ٨٦
خالد بن خلي	ابو زرعة ١٨٠ ابن ماكولا ٢/ ١١٣
سليم بن عامر الخبائري	الذهبي ٤/ ٢٥٥
ابو ظبية السلفي	الذهبي ٣/ ٣١٩
يونس بن سيف	الذهبي ٥/ ٢١

نعيمة (السحول) ؟

ولنعيمة عدد كثير بحمص منهم سعيد بن السفر النعيمي

سيد الكلاع بحمص   الاكمال ١ــ٢/ ٢٨١

خــولان

أبو الأعيسر   الذهبي ٥/ ١٩٣

أبو شعيب يوسف بن شعيب	الدولابي ٢/٥
أبو عنبسة	الذهبي ٣/٣٢٠
أبو الفتح عبد الصمد بن أحمد بن خنيس ،	الاكمال ٢/٣٤٢
أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج	ابو زرعة ٢٠٨
محمد بن حرب الابرشي	ابو زرعة ١٨٠

عَنَس

الأحوص بن حكيم بن عمير	أبو زرعة ١٨١
اسماعيل بن عياش	أبو زرعة ١٦٢ تاريخ البخاري١١٦٩
	تهذيب ابن عساكر ٣/٣٩
عمرو بن الأسود	الذهبي ٣/١٩٤

الجَنَد

عبدالرحمن بن الجَنَدي	الاكمال ٢/٢٢٢

الأوزاع

ابو مصبح المقرائي	الذهبي ٤/٢٢٤

أرحب

حبيب بن عبيد	الذهبي ٤/٢٤١
حريز بن عثمان	تاريخ البخاري ٣٤٠

الظهران

الحارث بن مخمر	الذهبي ٤/٩٧

طي

اسد بن وادعة	تاريخ البخاري ١٦٤٧
ثابت بن سعد	ابو زرعة ٤٤٩

الخطاب بن عثمان	ابو زرعة ٢٥٩
محمد بن القاسم	البخاري ٦٦٩
محمد بن عمر	ابو زرعة ٤٤٩
محمد بن عوف	الدولابي ٢/١٣٣

كلب

اسحق بن علقمة	أبو زرعة ١٧٢
اسحق بن يحيى	تاريخ البخاري ١٢٩٨
عطية بن قيس (مولى)	الذهبي ٤/١٥٥

بهراء

« قبيلة نزل اكثرها مدينة حمص » اللباب ١/١٥٦

الحكم بن نافع	أبو زرعة ١٣٨
سليمان بن عبدالحميد ابو ايوب	أبو زرعة ١٧٧
عبد الأعلى بن عدي	الذهبي ٤/١٤٠
عبدالله بن دينار	الذهبي ٥/٢٦٥

تنوخ

المذبذب	الاصابة ٣/٣٧٥

قضاعة

يحيى بن حميد	أبو زرعة ١٩٩

الأزد

اسماعيل بن يوسف	تاريخ البخاري ١١٩٧
عبدالله بن سفيان	الاصابة ٥١٨٨

ثمالة (الازد)

الحجاج بن عامر	الاصابة ١٦١٩
عبدالرحمن بن عائذ	الاصابة ٦٦٩٦
عبدالرحمن بن قرط	الاصابة ٥١٨٨
عبدالرحمن الأزدي الثمالي ويقال الكندي،	الاصابة ٣/١٥٢

غامد (الازد)

الحارث بن الحارث أبا المخارق	الاصابة ٣٨٦

جرش

عبدالرحمن	الاصابة ٣/٩٨
عبدالرحمن بن عوف (قاضي)	الاصابة ٦٣٧٦ الذهبي ٤/١٤٣
الوليد بن عبدالرحمن	الذهبي ٥/١٣

الحبـران

راشد بن سعد	الذهبي ٤/٢٤٨ ابن عساكر ٥/٢٨٩
ابو راشد	الذهبي ٣/٣١٨
شريح بن عامر	الذهبي ٤/٢٥٧

لخـم

عباد بن الريان	الذهبي ٥/٢٦٢

يحصب

العلاء بن عبدالجبار	الذهبي ٥/٢٨٢

سـليم

الحجاج	تهذيب ابن عساكر ٤/٧٤

حنظلة بن طفيل (شهد الفتح)	الاصابة ١٨٦٢
عبد الأعلى بن هلال	الاصابة ١٤٠/٤
عمرو بن عنبسة بن عامر	الذهبي ٥٧/٣
مزينـــة	
عبدالرحمن بن أبي عميرة	الاصابة ٥١٧٩ الذهبي ٤٣/٣
عبد الرحمن بن شبل	الاصابة ٣٩٥/٢
اشـــجع	
عوف بن مالك	ابن سعد ١٢٣/٢٢/ ٢/٧
مالك بن أوس بن زياد	الاكمال ٤٨/١
هــــوازن	
أبو عامـــر	الذهبي ٢٢١/٣
ثقيــف	
حنظلة بن أبي حنظلة	الاصابة ٧١٥٧
البـّـــكاء	
علي بن عياش	أبو زرعة ١٤٣
محمد بن عوف	الدولابي ١٣٣/٢
كنانـــة	
سليمان بن سليم	تاريخ البخاري ١٨١١
كـــلاب	
عطية بن يحيى	تاريخ البخاري ٤٨

مـــازن

عطية بن يسر	الاصابة ٢٥٧٠

أنمـــار

بكر بن الحارث	الاصابة ٧٢٤

نصــر (أسد)

حسان بن نوح	ابو زرعة ٢٣٦ تاريخ البخاري ١٣٣
ابو معاوية عبدالرحمن بن خلف	الدولابي ١/١٢٥
محمد بن سليمان أبو ضمرة	ابن ماكولا ١/٣٩٠
محمد بن ابي جميلة	الاكمال ٢/١٢٩

غاضــرة (أسد)

جابر الازرق	الاصابة ١٠٠٩
خالد الازرق	الاصابة ٢٢٠٦
عبدالله بن معاوية	الاصابة ٤٩٦٦
عمرو بن معاوية	الاصابة ٥٩٧٠

بجيلــة

أوسط بن سعيد	أبو زرعة ٢٢٥

باهلــة

أدهم بن محرز	الذهبي ٣/٢٤١
أبو امامة	الذهبي ٣/٣١٣
محرز بن أسيد	الاصابة ٣/٣٤٧

عبـــس

سالم بن سالم	تاريخ البخاري ٢١٤٦

غــــور ؟

الخطاب بن عثمان	ابن سعد ٧ـ٢/١٧٥ ابو زرعة ٢٧٤

جرجيـــس

يزيد بن عبد ربه	ابو زرعة ١٦٨ الدولابي ٢/٨٠

الأنصـــار

رافـــع بن سعيد	الاصابة ٨٥٣٠
شداد بن شرحبيل	الاصابة ٣٨٥٠

* * *

(٨) استيطان العرب في الجزيرة

كانت المنطقة الواقعة شمال شرقي بلاد الشام تسمى الجزيرة وكانت لها اهمية كبيرة في السنين الاولى من توسع الدولة، إذ أنها المنفذ الذي يمكن أن تهدد منه جيوش الروم بلاد الشام والعراق ، كما أنها متصلة بأرمينية وأذربيجان ، ولذلك اهتم العرب بتأمين السيطرة عليها ، ووضع قوات من المقاتلة العرب في مختلف أرجائهـــا .

فيروي البلاذري « ولى ابو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة»[١] ، ويذكر أيضاً « رتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة واسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين الشام وقوما لم يكونوا من البعوث . نزعوا من البوادي من قيس ، واسكن قاصرين قوما ثم رفضوها او اعقابهم»[٢] .

ويذكر أيضاً أنه عندما فتحت الرها « خلف بها عامله في جماعة»[٣] وكان صلح الرها الأنموذج الذي احتذي في صلح عدد من المدن الاخرى مثل حرّان ، وراس كيفا ، وسميساط ، وبازبدى ، وارزن ، وطور عبدين ، وماردين ، [٤] . وقـــد بنى قيس بن سعيد بن عامر بن حديم مسجداً في الرقة ومسجداً في الرها [٥] مما يدل على انها كانت مركزاً إدارياً يسكنه العرب .

ويذكر البلاذري أيضاً أن سنجار « أسكنها قوماً من العرب» [٦] .

---

(١) فتوح البلدان ١٤٩ .

(٢) كذلك ١٤٩

(٣) كذلك ١٧٤ .

(٤) انظر فتوح البلدان ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ . وانظر ياقوت ٢/٢١٣، ٧٣٣

(٥) فتوح ١٧٧ .

(٦) كذلك ١٧٦ .

ويذكر ابن حوقل ان وادى حيال ، وحوشي لى سنجار يسكنه قشير ونمير وعقيل وكلاب (٦أ)

ويذكر أيضاً أن معاوية أنزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ، وأذن لهم في اعتمال الارضين التي لا حقّ فيها لأحد ، فأنزل بني تميم الرابية ، وأنزل المازحين والمديبر أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر ، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك ؛ والزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذبّ عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله (٧)

ويذكر أيضاً أنه « لما ولى معاوية الشام والجزيرة وجه إليها (ملطية) حبيب بن مسلمة ففتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريق الصوائف ، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبدالله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعثتها ثم تركتها ، فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط (٨) .

ويقول إن معاوية في زمن خلافة عثمان « ألزم المدن والقرى والمسالح (في الجزيرة) من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله »(٩) .

ولما قتل عثمان وولي الامام علي الخلافة واستعر الخلاف بينه وبين معاوية ، امتدت الانقسامات الى العرب وادت الى احداث تغييرات في مساكن العرب وتوزيعهم وخاصة في الجزيرة التي ازدادت اهميتها العسكرية ، فلم تعد الثغرة التي يمكن أن ينفذ منها الروم لتهديد الدولة الاسلامية فحسب ، بل أصبحت

(٦أ) ابن حوقل ٢٤٠/١
(٧) كذلك ١٧٧ .
(٨) كذلك ١٨٤ .
(٩) كذلك ١٧٧ .

أيضاً الطريق الرئيس الذي يمكن أن يسلكه الامام علي وجيوشه الى الشام لتهديد سلطان معاوية . ولذلك عمل معاوية على سد هذه الثغرة التي يمكن أن تهدده ، فأسكنها مقاتلة من العرب لصد تقدم الامام علي ، وقد حشد هذه المقاتلة بصورة خاصة من العرب الذين غادروا الكوفة ولجأوا اليه حباً بعثمان وتمسكاً بذكراه ، أو كرها لعلي ومعاداة له . وقد أنزل كثيراً من هؤلاء عدداً من مدن الجزيرة ، وخاصة الرها وقرقيسيا والرقة .

الرّقة وقنّسرين :

يذكر نصر بن مزاحم انه « كان من بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية » [١٠] ويذكر الطبري انه « مصّر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين »[١١] .

وقد ذكرت المصادر بعض الجماعات التي لجأت الى معاوية فمن هؤلاء بنو الأرقم ، وهم من كندة « قالوا لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان ، فتحولوا الى الشام ، فأسكنهم معاوية الرها وأقطعهم بها» [١٢] ، وكانت الرها قد استوطنها العرب منذ فتح الجزيرة ، وكان فيها مسجد بناه عمير بن سعد»[١٣] .

وممن هرب الى معاوية جرير بن عبدالله البجلي الذي حدث بينه وبين الامام علي خلاف « فلحق بقرقيسيا ولحق به ناس من قَسْر من قومه ،ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة» [١٤] .

(١٠) وقعة صفين ١٦ .
(١١) الطبري ٢٨٦٦/١ .
(١٢) الأنساب لابن حزم ٤٠٠ الإصابة لابن حجر (رقم ١٢٧٣ ، ١٤٦٤ ، ٥٤٨٩) . عن ابن سعد .
(١٣) فتوح البلدان ١٧٧ .
(١٤) وقعة صفين ٦٧ وانظر أيضاً : انساب الاشراف ٢٧٧/٢ ، تاريخ البخاري ٢ – ٣٤/١ .

اما الرّقة فقد«بنى مسجدها سعيد بن عامر بن حذيم الذي ولي الجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم» (١٥) ، وممن لجأ الى معاوية سماك بن مخرمة الاسدي « وقد كان فارق عليا في نحو من مائة رجل من بني اسد ، ثم اخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل » وقد جعله معاوية اميراً على الرقة « وجل أهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم الى معاوية»(١٦) .

وممن لجأ الى معاوية حنظلة الكاتب وثلاثة وعشرون من قومه (١٧) وأنزل معاوية الرقة أيضاً عدي بن عميرة الكندي الذي لجأ اليه مفارقاً لعلي (١٨). ولما قتل الامام علي وصفت الخلافة لمعاوية تابع خطته في فصل محبيه عن مبغضيه وفي توطين محبيه في الجزيرة خاصة، فيروي الطبري «وكان معاوية حين أجمع عليه أهل العراق بعد علي يخرج من (الى ؟) الكوفة المستغرب في امر علي وينزل داره المسغترب في امر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة وهم الذين يقال لهم النواقل في الأمصار» (١٩) .

ويقول الطبري « كان معاوية هو الذي جنّد قنسرين من رافضة العراقين أيام علي وانما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصّرها معاوية وجنّدها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان ، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق ، اذربيجان والموصل والباب فضمها فيما ضم» (٢٠) وأنه

(١٥) فتوح البلدان ١٧٧ .
(١٦) وقعة صفين ١٦٣ ، وانظر عن هرب سماك الى الرقة : فتوح البلدان ٢٨٤،ياقوت ٥٢٦/٤ .
(١٧) وقعة صفين ١٠٩ .
(١٨) فتوح البلدان ٢٠٥ .
(١٩) الطبري ١٩٢٠/١ .
(٢٠) الطبري ٢٦٧٣/١ .

وانه « مصّر قسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقـــين »[٢١] . وينسب البلاذري إفراد قنسرين الى يزيد حيث يقول انه لما ولي يزيد الخلافة « جعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً وكانت قنسرين وكورها قبل ذلك مضمومة الى حمص» [٢٢] .

ولما توفي يزيد نشب خلاف واسع بين القبائل القيسية واليمانية في بلاد الشام كاد يودي بحكم الامويين ، ثم تمكن مروان بن الحكم من التغلب بالقوة على معارضة القيسيين ، فلما ولى عبد الملك الخلافة أدرك احتمال تجدد هذا الخطر ، فعمل على ازالته باجتثاث اسبابه ولذلك أمر بنقل القيسية الى الجزيرة ، وكانت الجزيرة تابعة الى حمص ، فلما جندت قنسرين صارت تابعة الى قنسرين «فجندها عبدالملك بن مروان ، أي أفردها ، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها ، وان محمد بن مروان كان سأل عبدالملك تجنيدها ففعل» [٢٣] .

وقد نزل ولد ابي رمثة حصن كفرتوثا « فمدّنوها وحصنوها»[٢٤] ويذكر الهمداني ان كفرتوثا كانت لجشم [٢٥] .

ولما اعلن مروان بن محمد نفسه خليفة اتخذ مركزه في حرّان [٢٦] وقد ظل مقيماً بها بعد إخضاعه بلاد الشام الى أن شخص الى الزاب [٢٧] . وقد فرض مروان لنيف وعشرين الفاً من اهل الجلد [٢٧ أ] ، ولابد ان كثيراً منهم من عرب حران وقد سـيطر بنو نمير في السكن بحران في العهود العباسـية المتأخرة [٢٨] وكانت حرّان قصبة ديار مضر في العهود العباسية » [٢٩] .

(٢١) الطبري ٢٨٦٦/١ .
(٢٢) فتوح البلدان ١٣١ .
(٢٣) فتوح البلدان ١٣١ ياقوت ١٣٦/١ .
(٢٤) فتوح البلدان ١٧٩ .
(٢٥) صفة جزيرة العرب ١٣٣ .
(٢٦) الطبري ١٨٩٢/٢ ، ١٩٤٦ ؛ ٣٣/٣ ، ٣٨ مروج الذهب ٧٥/٦ .
(٢٧) الطبري ١٩٩١/٢ ، ١٠/٣ ، ٣٣ ، ٣٨ .
(٢٧أ) الطبرى ١٨٧٣/٢
(٢٨) القلقشندي : صبح الاعشى ٢٤١/١ .
(٢٩) ياقوت ٢٣١/٢ .

الموصــل :

اما الموصل فقد تم فتحها بجيش تقدم من الكوفة « وكانت الباب واذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة» (٣٠) ، وقد تم فتح الموصل على يد عتبة بن فرقد الذي فتح أيضاً « المرج وقراه ، وأرض باهذرى ، وباعذرى ، وحبتون ، والحنانه ، والمعلة ، ودامير ، وجميع معاقل الأكراد وأتى باعيناثامن حزّة ففتحها ، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن صالح .. فتح ذلك كله وغلب عليه المسلمون » وقد فتح عتبة ارميه ايضاً (٣١) .

ثم ولى بعد عتبة ، هرثمة بن عرفجة البارقي فمصّر الموصل « وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع » ، وهو « أوّل من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصّرها » (٣٢) ، ويذكر المعافى ان « عثمان مصّر الموصل واسكنها أربعة الاف مقاتل» (٣٣) .

يذكر الطبري « وكان اهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من كان ترك هجرته من اهل البلدين ؛ وكانت الباب واذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة ، فنقل ذلك الى من انتقل منهم الى الشام أزمان علي والى من رميت بالجزيرة والموصل ممن كـــان ترك هجرته ايام علي (٣٤) ، إلا أن المصادر لم تذكر العشائر التي انتقلت الى الموصل في هذا العهد المبكر .

وقد حدث النمو الكبير في الموصل في زمن خلافة عبدالملك بن مروان فيروي اليعقوبي أن « عبدالملك ولّى اخاه محمداً الموصل ، ونقل إليها الازد وربيعة من البصرة» (٣٥) ولعله في هذا الزمن انتقل اليها بنو رويم الازديون» (٣٦) واللبو ،

(٣٠) الطبري ٢٦٧٤/١ .
(٣١) فتوح البلدان ٣٣٠ .
(٣٢) فتوح البلدان ٣٣١ .
(٣٣) الاصابة ٣٣١/٢ ، ولعل كلمة « عثمان » محرفة أو من اخطاء النقله .
(٣٤) الطبري ٢٦٧٤/١ .
(٣٥) التاريخ ٣٢٤/٢ .
(٣٦) ابن دريد : الاشتقاق ٥١٠ .

وهم من عبد القيس » الذين يذكر ابن قتيبة ان « منهم بالموصل »[٣٧] .

ذكر الازدي في الجزء الثاني الذي وصل إلينا من كتابه «تاريخ الموصل» بعض عشائر الازد الذين استوطنوا الموصل ، واغلبهم من بني سليمة بن مالك ابن فهم ، وقد ذكر من اولاد مالك بن فهم جذيمة ،وفراهيد ، وعمرو ، وان إخوة جذيمة ، معن وهناء امهما ابنة وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ؛ والحارث وهمام وسليمة ، امهم جعدة بنت ساعدة بن الحارث بن معاوية الكندي ، وهؤلاء الذين قدموا الموصل وقد ذكرت شأنهم»[٣٨] والعبارة الاخيرة غامضة ، فقد يكون القصد منها أن بني سليمة وحدهم ، أو أن القبائل الثلاثة ، أو أن جميع بني مالك بن فهم قد قدموا الموصل وسكنوها . ويبدو انه فصّل في ذكرهم في الجزء الاول المفقود من كتابه ، اذ انه يقول « وقد بينت ولد كل واحد من بني سليمة ومنازلهم واخبارهم على ما بلغني من ذلك ؟ الكتاب الذي قدمت ذكره»[٣٩]

ويذكر الأزدي أن « لسليمة من الولد فيما ذكروا خمسة عشر من الولد هم حماية ، وعبد ، وعبيد ، وكلاب ،وغنم ، وزاحر ، وحيال ، ورواحة ، وحملة ، ورافد ، والأسود ، وسعد ، وجرير ، وأسود ، ومحاسن ، بنو سليمة بن مالك ابن فهم »[٤٠] .

وذكر ايضاً بالموصل من سليمة بنو الخشاش من ولد عبد بن سليمة : منهم عمرو بن جرو بن نصير بن زائدة بن عمر بن حشاش بن ذهل بن عاصب بن غزال بن سعد بن جابر بن عدي بن عبد بن سليمة .. ومنزلهم مع سليمة في السكة الكبيرة»[٤١] .

(٣٧) المعارف ٤٥ .
(٣٨) تاريخ الموصل ٩٩ .
(٣٩) تاريخ الموصل ١٠١
(٤٠) تاريخ الموصل ١٠١
(٤١) تاريخ الموصل ٩١

فاما محاسن فمن ولده بنو جابر الذين منهم بنو عمران الموصليون [٤٢] وبالموصل من ولد جابر بن جبلة ثلاثة نفر : نفيل ، وسليمان ، ووهب بنو جابر بن جبلة ، فاما نفيل فمنزله بالموصل في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بابن عطاء ودرب دراج وله هناك زقاق يعرف بفضل الآن ، ومسجد سليمان الحضرمي» [٤٣] .

ومن سليمة ، ممن قدم معهم وكان مع سليمة بالموصل .. أبو الأشهل الحكم بن عطاء السليمي .. وكان مصاحبا لجابر بن جبلة .

ومن بني محاسن محمد ، سكن الموصل جماع بن احمد بن اسلم بن زيد السليمي وهو صاحب سكة جماع بالموصل « وبلغني انه قدم الموصل مع جابر بن جبلة ، وبنو ابي السرداج الذين في سكة جماع من مواليه .

وبالموصل من سليمة بنو الحشاش من ولد عبد بن سليمة .. ومنزلهم مع سليمة في السكة الكبيرة ومنهم بقية» [٤٤] .

وممن قدم الموصل من إخوة سليمة معن بن مالك، ومنازلهم بالموصل باب سنجار والمسجد الذي فيه مسجدهم ، وكان باب سنجار في أيديهم وأيدي سليمة [٤٥] .

وبنو الروّاد كانوا بالموصل ، ومنها انتقلوا الى اذربيجان فغلبوا على كورة منها ، ومن إخوتهم أيضاً ممن قدم الموصل فراهيد بن مالك بن فهم ، وكان بالموصل منهم رهط منهم بيان بن خالد .. ومنازل بيان في محلة بني عمران ، ودار بيان كانت الدار المعروفة بمسجد بن الفضل بن زيد بن عمران [٤٦] .

(٤٢) تاريخ الموصل ١٠١
(٤٣) تاريخ الموصل ٨١
(٤٤) تاريخ الموصل ٩١
(٤٥) تاريخ الموصل ٩٢
(٤٦) كذلك ٩٢

وبالموصل عمرو بن مالك ، وكان بالموصل منهم جماعة انقرضوا وبقي بقية من مواليهم ، وكانت منازلهم في قطيعة دور الطمثانيين (٤٧) .

ومن رجال الأزد وائل الشحاجي الأزدي، وكان وائل بن الشحاج ممن طارد مروان بن محمد بعد هزيمته بالزاب ، فأقطعه أبو العباس قطيعتين بربض مدينة الموصل أسفل الارض المعروفة بقطائع بني وائل (٤٨) ثم أقطع سنة ١٣٩ أرضاً قربها (٤٩) .

وممن سكن الموصل من الأزد بنو بريضة وكانت لهم « الجزيرة » إقطاعاً فاشتراها منهم هشام (٥٠) (بن عبدالملك ؟) .

ومن الأزديين في الموصل«بنو المختار ، وهم إخوة عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي (٥١) » .

وممن ذكر من رجال الأزد أبو الصقر نجدة بن الحكم صاحب سكة صقر (٥٢) والعراهم بن المختار (٥٣) .

وذكر الأزدي رجالاً من عشائر متعددة في الموصل ، ولعل هذه العشائر ممن كانت مقيمة في الموصل .

١ — القطران بن أكمه الشيباني « له خطة ومسجد في ربض الأعلى يعرف بمسجد ابن أكمه القطران » ، وكان « في عدة من أهل بيته وقومه» (٥٤) .

٢ — الزبير بن اياس الذهلي (٥٥) .

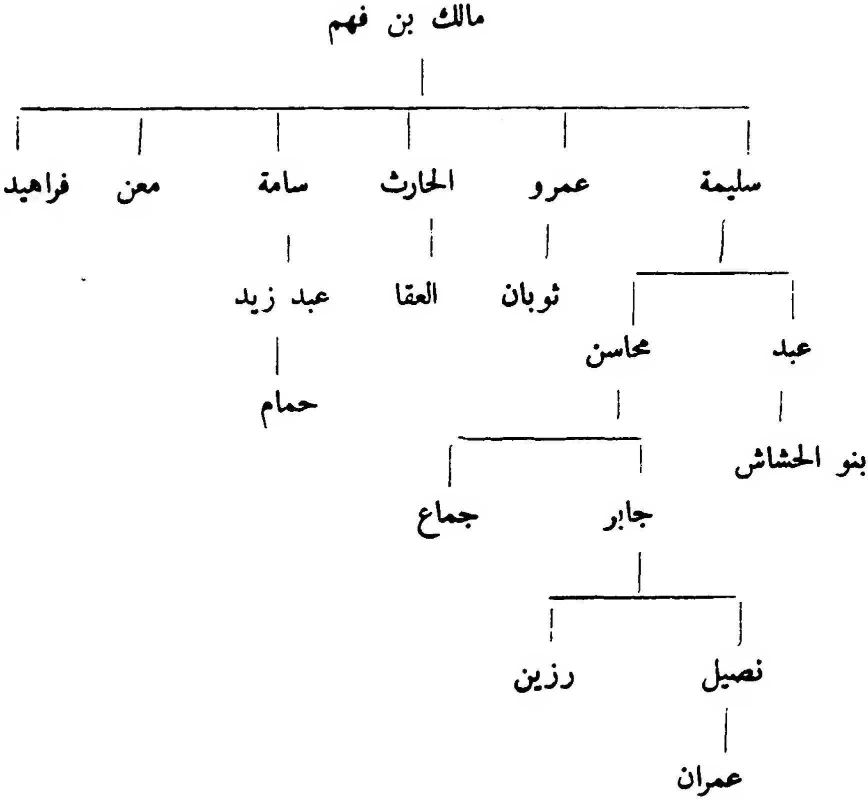
(٤٧) تاريخ الموصل ٩٣
(٤٨) كذلك ١٥٨
(٤٩) كذلك ١٧١
(٥٠) كذلك ١٧٢
(٥١) كذلك ١٦٤
(٥٢) كذلك ١١
(٥٣) كذلك ٤٧ ، ١٥٣
(٥٤) كذلك ٦٨
(٥٥) كذلك ١٤٧

٣ – شريح بن شريح بن عمر بن سلمة الخولاني ، وهو صاحب قناطر شريح بالموصل (٥٦) .

٤ – المعمر بن ايوب الهمداني جد بني حيّة (٥٧) .

٥ – علي بن نعيم الحميري ، جد بني سمعويه (٥٨) .

٦ – طرخان بن يزيد الرحبي (٥٩) .



(٥٦) تاريخ الموصل ١٥٣ ، ١٤٦
(٥٧) كذلك ١٤٧
(٥٨) كذلك ١٤٧
(٥٩) كذلك ١٥٣

٧ – خاقان بن يزيد الرحبي ، مولى لهم ، وهو جد بني قود المصحين وهو صاحب سكة خاقان التي بين مسجد موسى بن مصعب وبين مسجد بسام الذي يصلى فيه بنو الوضاح العبديون (٦٠) .

اما القرى التي في أطراف الموصل فقد ذكر الأزدي أن بني ثوبان ، وهم من ولد عدي بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم ، سكنوا باسَطّا فكانوا أهلها ، وأن ثوبان بن الحارث بن عبادة قدم من البصرة الى الموصل « فنزل قرية يقال لها ثرثار وسفطا ، بحواثا والعروبة من اقليم الديبور ونزل معه مالك بن الحارث » وأن « باساطا فانما ملكوها من اهل باجريق ، وليست خطة لهم ، ومنهم بقية» (٦١) .

وسكن بنو العقا بن الحارث بن مالك بن فهم باعقا ، وهي قرية على شط الزاب بقرب باسحق .

اما حمام بن عبد زيد بن سامة بن مالك بن فهم فقد قال هشام «منازل حمام عمان ، ومهاجرهم البصرة والموصل ، .. ولبني حمام بالموصل ضيعة تعرف بالحميمة ويضاف اليها طيمونة ، قريبة من باسحق» (٦٢) .

وبنو معن بن مالك بن فهم ، الذين سكنوا باب سنجار من الموصل ، لهم « الثرثار خطط وضياع منها تل خواسا وذواتها ، ومنهم هناك بقية» (٦٣) .

وكانت منازل بني مالك بن همدان ببافخارى ، وقد سكنوها بعد ان قدموا من الكوفة (٦٤) . وسكنت عنزة في حزّة (٦٥) .

وسكنت بنو تغلب في مدينة بني أسد (٦٦) .

(٦٠) تاريخ الموصل ١٤٧
(٦١) كذلك ٩٤
(٦٢) كذلك ٩٤ – ٩٦
(٦٣) كذلك ٩٢
(٦٤) كذلك ٢٠٤
(٦٥) كذلك ٣١٣
(٦٦) كذلك ٢٦٨ ، ٣٣٢ ، وانظر ؛ الجزيرة الفراتية والموصل لمحمد جاسم حمادي ١٦٦ .

يروي البلاذري أنه « لما اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية قديمة فيها بيعتان وأبيات للنصارى ، فمصّرها وأسكنها قوماً من العرب ، فسميت الحديثة لانها بعد الموصل ، وبني بحزّة حصناً ، ويقال إن هرثمة نزل الحديثة أولا فمصّرها واختطها قبل الموصل ، وأنها إنما سميت الحديثة حين تحول إليها من تحول من أهل الأنبار لما وليهم إبن الرفيل أيام الحجاج ابن يوسف فعسفها ، وكان فيها قوم من أهل حديثة الأنبار فبنوا بها مسجداً ، وسموا المدينة الحديثة» [٦٧] .

ونقل ياقوت عن البلاذري « وجه عتبة بن فرقد من الموصل بعدما افتتحها في سنة عشرين مسعود بن حريث بن الأبجر ، احد بني تيم بن شيبان ، الى تكريت ففتح قلعتها صلحاً وكانت لامرأة من الفرس شريفة فيهم يقال لها داري ، ثم نزل مسعود القلعة فولده بها ، وابتنى بتكريت مسجداً جامعا ، وجعله مرتفعاً عن الارض لأنه أمنهم على خنازيرهم ، فكره أن يدخلوا المسجد»[٦٨] وهذا النص غير موجود في الطبعة المتداولة لفتوح البلدان ، وهو يظهر أن مسعود الشيباني استوطن القلعة مع أهله ، ولعل عدداً من ابناء عشيرته سكنوها أيضاً ويدل على ذلك بناءه « مسجداً جامعاً» لا يقام عادة إلا في الأماكن المأهولة بالمسلمين .

عشائر اخرى في الجزيرة :

ذكرت كتب النسب بعض العشائر والأسر التي استوطنت الجزيرة بعد الفتح الاسلامي دون ان تحدد بدقة تاريخ انتقالها . فقد ذكر ابن دريد « بنو عمرو بن سعد بن زيد مناة بالكوفة والجزيرة يقال لهم الصحصحيون » [٦٩] وذكر ابن قتيبة «غفيلة بن عمرو بن قاسط لهم عدد بالجزيرة في بني تغلب»[٧٠]

(٦٧) فتوح البلدان ٣٣٣
(٦٨) ياقوت ٨٦٣/١
(٦٩) الاشتقاق ٣٥٨
(٧٠) المعارف ٤٦

و « بنو عُلَيم لهم عدد بالجزيرة منهم بكر بن معاوية صاحب ديوان الجند ، وكان من قواد أبي جعفر » (٧١) .

وذكر ابن الكلبي في كتاب الأنساب « بهثة منهم بالجزيرة والكوفة » (٧٢) و « الكاهن بن غالب بن مرة وهم بالجزيرة » (٧٣) ، وبنو عوف بن عبدالله ؛ وهم من عقيل ، قتلوا توبة ثم انحدروا الى الجزيرة » (٧٤) ، وذكر أن خالداً ، أخا الوليد بن عقبة ، نزل الجزيرة وولده بها (٧٥) وان البحتري بن الحر بن عبيدالله بن عمر لهم عدد بحرّان (٧٦) وذكر مسعر بن مهلهل « باجنيس بلد بني سليم » (٧٧) .

والواقع أن الهجرات إلى الجزيرة تتابعت ، ثم انتظمت القبائل ، فصارت الجزيرة مقسمة الى ثلاثة اقسام رئيسة هي ديار مضر وقاعدتها حرّان ، وديار ربيعة وقاعدتها الموصل وديار بكر وقاعدتها آمد .

وقد وصف إبن حوقل ، وهو من مؤلفي القرن الرابع الهجري أحوال الجزيرة فقال إنها « كان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر ، أهل خيل وغنم وإبل قليلة ، وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها ، منهم بادية وحاضرة فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبني كلاب فأزاحوهم عن بعض ديارهم بل جلّها ، وملكوا غير بلد واقليم منها حرّان وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا والرحبة في ايديهم يتحكمون حضائرها ومرافقها » (٧٨) .

(٧١) المعارف ٣٩
(٧٢) الانساب ١٨٧ ب
(٧٣) كذلك ١١١ أ
(٧٤) كذلك ١٣٥ أ
(٧٥) كذلك ١٧ أ
(٧٦) كذلك ١٠٩ أ
(٧٧) ياقوت ١/٤٥٥
(٧٨) صورة الارض ٢٢٨ — ٩

ويلاحظ ان المعارك الكثيرة التي حدثت في ايام عبدالملك في الجزيرة كانت بين بني سليم وتغلب ، مما يدل على استقرارهم فيها قبل ذلك[٧٩] .

وذكرت مصادر متأخرة بعض العشائر العربية في الجزيرة الفراتية واماكن سكناها ، والراجح أن استقرار كل عشيرة في المكان الذي ذكرته هذه المصادر يرجع الى صدر الاسلام ، كما أن عشائر أخرى هاجرت فيما بعد الى ارمينية او الثغور ، او استقرت في المدن .

فقد ذكر الهمداني أن كفرتوثا كانت لجشم ، وأن نصيبين كانت لبني حمدان ، وأن جبل سنجار كان فيه شراة بني تغلب وبني زهير وعمرو ، وان ديار بني عبيد التغلبيين كانت تمتد من اذرمة الى برقعيد[٨٠] .

وذكر ابن حوقل ان رأس العين بها للعرب خطط[٨١]، وذكـــر القلقشندي ان ديار بني تغلب كانت بجهات سنجار ونصيبين[٨٢] ثم غلبهم بنو عقيل[٨٣]

(٩) استيطان الثغور وارمينية

كان للاطراف الشمالية من بلاد الشام والجزيرة وضع خاص نظراً لأنها تحدّ بلاد الروم فتتعرض بصورة أسبق وأكثر من غيرها لهجمات الروم وتعدياتهم ، كما أن فيها المنافذ التي تسلكها الجيوش العربية الى بلاد الروم ، ولذلك كان لا بد من الاهتمام بتحصينها وشحنها بقوات يكون واجبها الدائم حمايتها والوقوف بوجه الروم الى الدرجة التي تعطل تقدمهم وتتيح المجال للقوات الغربية الرئيسة بالاستعداد لمواجهتهم ، أي أنه يجب أن تكون القوات المعسكرة

(٧٩) انظر عن هذه الايام : أنساب الاشراف ٥/٣٠٨ – ٣٣١ الكامل لابن الاثير
(٨٠) صفة جزيرة العرب ١٣٣٤
(٨١) صورة الارض ٣٠٠ ، وانظر أيضاً الجزيرة الفراتية والموصل لمحمد جاسم حمادي ١٥٩ – ١٦٢ .
(٨٢) قلائد العقيان ١٣٢
(٨٣) كذلك ١٠٠

في هذه المراكز الأمامية تتوفر فيها الشروط اللازمة لقوات الطلائع من قدرة على عرقلة تقدم المعادية دون أن تعرض القوة الرئيسة للخطر ، وقد ازدادت أهمية هذه القوات بعد أن سيطر العرب على البحر المتوسط فمنعوا بسيطرتهم الروم من تهديد بلاد الشام ، علماً بأن الحادثة الحاسمة في العلاقات الحربية بين العرب والروم لا يمكن أن تأتي إلا من القوات البرية .

وقد اقتضت الاحوال أن يؤثر تحصين الأطراف الشمالية على التنظيم الدفاعي للاطراف الجنوبية ، لأن تقدم جيوش الامام علي من الجنوب لتهديد بلاد الشام نبّه الى أهمية المناطق الجنوبية واحتمال تجدد الاخطار منها ، ولذلك كان لا بد من الاحتفاظ بقوات كافية في الجنوب ، وان تقوم القوات الرئيسة في الوسط لتكون في وضع آمن ، وتستطيع ان تتقدم منه الى مواضع الخطر بعد تبنيه .

ان الاماكن الرئيسة التي اهتم معاوية بتقويتها هي قاليقلا ، ومرعش ، وملطية ، فاما قاليقلا فان حبيب بن مسلمة فتحها ، فهدده الروم « فبعث اليه معاوية الفي رجل أسكنهم قاليقلا واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة لها »[1] وكان ذلك في عهد خلافة عثمان .

اما ملطية فقد«فتحها حبيب بن مسلمة ورتّب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من اهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريق الصوائف » غير ان الروم استغلوا الاضطرابات التي حدثت في فتنة ابن الزبير ، فجلا عنها العرب وخربها الروم وسكنهاالارمن، فلما صفت الخلافة لعبد الملك بن مروان ، قام ابنه عبدالله سنة ٨٣هـ باعمار طرندة ، فنزلها المسلمون وبنوا بها مساكن ، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز نقل

(١) فتوح البلدان ١٩٦

العرب من طرندة الى ملطية . غير أن العرب اضطروا الى إخلائها على أثر تولي العباسيين الخلافة (٢) .

اما مرعش فقد « بناها معاوية وأسكنها جنداً » ثم أغار عليها الروم في زمن ابن الزبير فأخلاها المسلمون » ثم إن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار الى مرعش فعمّرها وحصّنها ونقل الناس اليها وبنى بها مسجداً جامعاً ،وكان يقطع في كل عام على اهل قنسرين بعثاً اليها » فلما ولى مروان بن محمد الخلافة استغل الروم الثورات التي قامت ضده فها جموها واضطر المسلمون الى إخلائها ، وقد حاول مروان إعادة بنائها ولكنه لم يفلح (٣) .

وبنى عبدالله بن عبدالملك سنة ٨٤هـ حصن المصّيصة « ووضع بها سكاناً من الجند منهم ثلاث مائة رجل انتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك (٤) .

ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة اراد هدم المصيصة والحصون التي بينها وبين انطاكية ، ولكنه أمسك عن ذلك عندما علم أن عمله سيعرض المنطقة لهجوم الروم(٥) .

واهتم هشام بن عبدالملك بهذه المنطقة فحصّن المثقب ، وبنى حصن قطرغاس وحصن مورة بفراس وحصن بوقا . ورتب في حصن متورة اربعين رجلاً وفي حصن بغراس خمسين رجلاً (٦) .

واهتم الأمويون بالمناطق الواقعة في أرمينية فحصنوا مدنها ، وخاصة دبيل والباب والأبواب وباب اللان ، وكسال .

فاما دبيل فقد « بناها عبدالعزيز بن حاتم وحصنها وكبّر مسجدها ، وبنى مدينة النشوى ، ورّمم مدينة بردعة ، ويقال إنه جدد بناءها ، وأحكم حفر

(٢) فتوح البلدان ١٨٤
(٣) كذلك ١٨٨
(٤) كذلك ١٦٤
(٥) كذلك ١٦٤
(٦) كذلك ١٦٦ - ٧

الفارقين حولها ، وجدد بناء مدينة البيلقان ، وكانت هذه المدن متشعثة [٧] .

ويذكر البلاذري « ويقال إن الذي جدد بناء بردعة محمد بن مروان في ايام عبدالملك ، وقال الواقدي بني عبدالملك مدينة بردعة على يد حاتم بن النعمان أو ابنه » [٨] .

ولما ولى مسلمة بن عبدالملك ارمينية أسكن باب الأبواب « أربعة وعشرين ألفاً من أهل الشام على العطاء، فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملاً يدخل مدينتهم الا ومعه مال يفرقه بينهم ، وبنى هريا للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح ، وأمر بكبس الصهريج ، ورمّم المدينة [٩]

يذكر المسعودي ان مسلمة بن عبدالملك وصل الى باب اللان « وأسكن في هذه القلعة أناساً من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع ، وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر من ثغر تفليس» [١٠] .

ويذكر البلاذري ان مروان بن محمد نزل كسال « وبنى مدينتها وهي على أربعين فرسخاً من بردعة ، وعشرين فرسخاً من تفليس» [١١] .

وفي خلافة مروان قام منصور بن جعونة ببناء حصن منصور ومرمّته « وكان قيماً به أيام مروان ليرد العدو ومعه جند كثيف من اهل الشام والجزيرة» [١٢] .

وكان الغالب على أرمينية اليمانية ، فلما جاء هرون الرشيد ولى يوسف بن راشد السلمي فنقل الى البلد جماعة من النزارية .. فكثرت النزارية في ايام يوسف ، ثم ولى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فنقل اليها ربيعة من كل ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها» [١٣] .

(٧) فتوح البلدان ٢٠٤
(٨) كذلك ٢٠٤
(٩) كذلك ٢٠٦
(١٠) مروج الذهب ٢٩٤/١
(١١) فتوح البلدان ٢٠٦
(١٢) كذلك ١٩٢
(١٣) تاريخ اليعقوبي ١٥٦/٣

ويذكر المسعودي « وبين مملكة حيدان وبين الباب والأبواب من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير العربية في آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار كبار في قرى قد سكنوها وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار لمن طرأ من بوادي العرب اليها ، منهم مجاورون لمملكة حيدان الا أنهم محتفون بتلك الأشجار والأنهار ، وهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والأبواب ، وأهل الباب يحذرونهم » (١٤) . ويقول أيضاً « وبالباب أزفلة من بني أمية» (١٥) .

واستغل الروم فرصة الاضطرابات التي رافقت انتقال الخلافة الى العباسيين ، فحاولوا تدمير الحصون الاسلامية التي على أطراف دولتهم ، غير أن العباسيين اهتموا للامر .

ومن اولى المناطق التي اهتموا بتحصينها هي المصيصة لأنها الثغر الذي يمكن أن ينفذ منه الروم الى انطاكية « فلما استخلف ابو العباس فرض بالمصيصة لأربعمائة وأقطعهم ، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل ، ثم لما دخلت سنة ١٣٩هـ أمر بعمران مدينة المصيصة ، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل في داخل المدينة ، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠هـ وسماها المعمورة .. وفرض المنصور فيها لألف رجل ، ثم نقل أهل الحصوص ، وهم فرس وصقالبة وأنباط نصارى ، وكان مروان أسكنهم اياها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها ، ونقض منازلهم واعانهم على البناء واقطع الفرض قطائع ومساكن .

ولما استخلف المهدي فرض بالمصيصة لألفي رجل ولم يقطعهم لأنها قد كانت شُحنت من الجند والمطوعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام حتى وليها سالم البرلسي .. وفرض موضعه لخمس مائة مقاتل على خاصة

(١٤) مروج الذهب ١٩٢/١
(١٥) كذلك ٩٥/٥

عشرة دنانير فكثر من بها وقووا ، وذلك في خلافة المهدي» [١٦] .

« وبنى الرشيد كفربيّا ، ويقال بل كانت ابتنيت في خلافة المهدي ثم غيرّ الرشيد بناءها وحصنها بخندق» [١٧] .

وفي سنة ١٣٩ أيضاً أمر المنصور باعادة بناء ملطية ، فندب اليها من جند أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة حُوالي سبعين ألفا « فجدّ الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر ، وبُني للجند الذين أُسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما ، واصطبل ، والعرافة عشرة نفر الى خمسة عشر رجلاً ، وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع في الفرات .

واسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم ، على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي يتجاعله القبائل بينها ، ووضع في شحنتها من السلاح ، واقطع الجند المزارع » [١٨] .

وفي سنة ١٣٩هـ «فأدى المنصور بمن كان حيّاً من اسارى أهل قاليقلا ، وبني قاليقلا وعمّرها ، وردّ من فادى به اليها ، وندب اليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم» [١٩] .

وفي سنة ١٤١ أ و ١٤٢هـ بنيت اذنة «والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحى البجلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلي ، وجههما صالح بن علي .. وقد كان المنصور أغزى صالح بن علي بلاد الروم ، فوجه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والاردن وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ، ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه» [٢٠] .

(١٦) فتوح البلدان ١٦٤ – ٥ وانظر أيضاً ١٦٧
(١٧) كذلك ١٦٥
(١٨) كذلك ١٨٦
(١٩) كذلك ١٩٨ (عن الواقدي)
(٢٠) كذلك ١٦٧

وفي خلافة المنصور أعاد صالح بن علي بناء مرعش «وحصّنها وندب الناس اليها على زيادة العطاء ، واستخلف المهدي فزاد في شحنتها وقوى أهلها» [٢١] .

وفي خلافة المنصور تحركت الخزر بناحية أرمينية ، فوجّه اليهم أبو جعفر « جبريل بن يحيى البجلي في عشرين الفاً من أهل الشام وأهل الجزيرة وأهل الموصل ، فواقع الخزر ، فقتل خلق من المسلمين» ولما سمع المنصور بذلك «أخرج سبعة آلاف من أهل السجون ، وبعث فجمع من كل بلد خلقاً عظيماً ووجه بهم وبفعلة وبنائين ، فبنى مدينة كمخ ، ومدينة المحمدية ، ومدينة باب ، وآمد وعدة مدن جعلها ردءا للمسلمين ، وأنزلها المقاتلة فردوا الحرب» [٢٢] .

ويذكر البلاذري أن المنصور « ولى يزيد بن أسيد السلمي ، ففتح باب اللان ورتب فيه رابطة من أهل الديوان ، وبنى يزيد أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأنزلهما أهل فلسطين» [٢٣] .

وفي خلافة المهدي أعاد الرشد بناء حصن منصور وشحنه [٢٤] وفي سنة ١٦٩هـ تم بناء مدينة الحدث على يد علي بن عيسى ، وفرض محمد لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن ، وأعطى كل امرىء ثلا ث مائة درهم » ثم فرض على بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم أياها ، ونقل اليها من ملطية وشمشاط وكيسوم ودلوك ورعبان ألفي رجل وسميت بعد عمارتها هذه المحمدية والمهدية» [٢٥] .

ثم أعادت الروم الهجوم على الحدث فتفرق من كان بها من الجند ، فلما ولي الرشيد الخلافة أمر «ببنائها وتحصينها وشحنها واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع » [٢٦] .

وزاد المهدي في شحنة مرعش وتقوية أهلها» [٢٧] .

(٢١) فتوح البلدان ١٨٨
(٢٢) تاريخ اليعقوبي ١٠٧/٣
(٢٣) فتوح البلدان ٢٠٨
(٢٤) كذلك ١٩١
(٢٥) كذلك ١٨٩
(٢٦) كذلك ١٩٠
(٢٧) كذلك ١٨٨

وأعاد الرشيد أيضاً بناء بطرة ، وكانت حصناً قديماً فتحه العرب مع حصن الحدث على يد حبيب بن مسلمة ، ثم أغار عليه الروم في أيام الوليد بن يزيد، وهدموه في أيام مروان بن محمد ، فاعاد بناءه المنصور . ولكن الروم أعادوا هدمه « فبناه الرشيد على يد محمد بن ابراهيم وشحنه » ثم هاجمه الروم من جديد « فأمر للمأمون بمرمته وتحصينه » ولكن الروم جددوا الهجوم عليه، مما أثار المعتصم فغزا الروم حتى وصل عمورية وأخرجها « وأمر ببناء زبطرة وحصّنها وشحنها ، فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها» (٢٨) .

وفي سنة ١٧٧ فتح المسلمون حصن شمشاط ، ثم استعاده الروم أيام الحرب بين الامين والمأمون ، ولكن عبدالله بن طاهر أعاد فتحه ، ولم يبق طويلاً بيد المسلمين بل استعاده الروم (٢٩) .

وفي سنة ١٧١هـ أغزى الرشيد الصائفة هرثمة بن أعين وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل ، ثم أشخص إليها ندبتين : الاولى من أهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل ، فوردوا طرسوس ، ثم أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل : من أهل المصيصة وألف من أهل أنطاكية ، على زيادة عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه ، فأقاموا الى أن استتم بناء طرسوس وتحصينها وبناء مسجدها ، وكان فيها أربعة آلاف خطة ، كل خطة عشرون ذراعاً في في مثلها ، وأقطع أهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الاخر سنة ١٧٢هـ» (٣٠) .

وفي سنة ١٨٠ أمر الرشيد بابتناء مدينة عين زربةوتحصينها وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل .

وفي سنة ١٨٣ أمر ببناء الهارونية فبنيت وشحنت ايضاً بالمقاتلة ومن نزل اليهامن المطوعة ونسبت اليه، ويقال انه بناها في خلافة المهدي ثم اتمت في خلافته(٣١).

* * *

(٢٨) فتوح البلدان ١٩٠
(٢٩) كذلك ٨٤
(٣٠) كذلك ١٦٨
(٣١) كذلك ١٧٠

الفهرس

صفحة